



﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

فصل الخطاب ف سلامة القرآن الكريم

تأليف

الدكتور محمد بن محمد بن يوسف الفارسي

مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين
جامعة الأزهر

الدكتور أحمد السيد الكومي

أستاذ ورئيس قسم التفسير
بكلية أصول الدين
جامعة الأزهر

[الطبعة الثانية]

طبع بدار إحياء الكتب العربية
عيسى البابی الحلبی وشركاه

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي المصطفى الحبيب العالی القدر العظيم الشأن . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، وانخاتم لما سبق ، والناصر الحق بالحق ، والهادى إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم .

اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ، ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور بصري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي وغمي .

اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدأ ما أبقيتني ، وارحمني بترك ما لا يعينني ، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني ، وألزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني ، ونور به بصري ، واشرح به صدرى ، واجعلني أتأوه كما يرضيك عني ، وافتح به قلبي ، وأطلق به لسانى .
اللهم إنا نعوذ بك من الشقاء في حمله ، والجور عن حقه ، والغلو في قصده ، والتقصير دون واجبه ، اللهم إنك جعلته نجاة فنحننا به من كل هلكة ، وجعلته عصمة فاعصمنا به من كل بدعة وشبهة ، اللهم ألزم به قلوبنا السكينة والوقار والفكرة والاعتبار والتوبة والاستغفار ، حتى لا نشترى به ثمنا ولا نبتغى به بدلا ، ولا نؤثر عليه عرضا من أعراض الدنيا أبدأ ، إنك سميع الدعاء .

(وبعد) :

فهذه جولة مع علوم القرآن الكريم توخينا فيها أن تكون جامعة بين إيميات سلامة

القرآن الكريم وبين دفع شبهة المستشرقين وأمثالهم من هذه الناحية نرجو أن تكون وافية بالغرض الذي من أجله قمنا بها - والكامل لله وحده - ونسأله أن ينفع بها ويجزيها عنها خير الجزاء، إنه أكرم مسئول وهو حسبنا ونعم الوكيل؟

أحمد السيد الكومي محمد أحمد يوسف القاسم

إلى الوالدين

﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾

مقدمة

روى الإمام مسلم بسنده عن تميم الدارى رضى الله عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الدين النصيحة . قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »^(١) .

« قال العلماء رحمهم الله : النصيحة لكتاب الله تعالى هى الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله ، لا يشبهه شيء من كلام الخلق ، ولا يقدر على مثله الخلق بأسرهم ، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حروفه فى التلاوة ، والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاعنين ، والتصديق بما فيه ، والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله ، والاعتبار بمواعظه ، والتفكير فى مجائبه ، والعمل بمحكمه ، والتسليم بمتشابهه ، والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ، ونشر علومه والدعاء إليه ، وإلى ما ذكرناه من نصيحته »^(٢) .

وروى الترمذى بسنده عن الحارث الأعور عن على قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنه ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قيل : فما النجاة منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشعب منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، من علم علمه سبق ، ومن عمل به أجز ، ومن حكم به عدل ، ومن اعتصم به فقد هدى إلى صراط مستقيم »^(٣) .

(١) صحيح مسلم (٢-٣٧) . (٢) التبيان فى آداب حملة القرآن (٨٥) .

(٣) مقدمتان فى علوم القرآن (٢٥٥) والإتيان (٢-١٥١) .

خص الله جل شأنه هذه الأمة المحمدية بهذا الكتاب الكريم ، ولم يكمل حفظه إلينا ، بل إنه سبحانه تكفل بحفظه ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وذلك رفع لأعظم معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ لأن الله تحدى بسورة منه العرب ، فلم يقدرُوا على أن يأتوا بمقدار آية منه ، ثم لم ينزل هذا التحدى إلى يومنا هذا ، والقرآن يتلى ليل نهار ، مع وفرة الملحدِين والطاعنين ولم يستطع أحد معارضة شيء منه ، وأى دلالة على صدقه صلى الله عليه وسلم أعظم من هذا ؟

ولما تكفل سبحانه بحفظه خص به من شاء من عباده الذين هم أهل الله وأصفياءه ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ ، وكان الاعتماد في نقله على حفظ الصدور لا على نقله من الكتب والمصاحف ، وهذه خصوصية من الله لهذه الأمة المحمدية ، بخلاف أهل الكتاب الذين لا يقرءون كتبهم إلا نظراً .

ولقد خص الله من اصطفاهم بحفظه بالأمانة في الأداء إلى من بعدهم ، حسب ما تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم : لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً ولا إثباتاً ولا حذفاً ، حتى أنه لما كتبت المصاحف في عهد عثمان - رضى الله عنه - جردت من النقط والشكل ، لتحتمل ما صح نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط والرسم .

ولما أرسلت المصاحف إلى الأمصار قرأ أهل كل مصر بما في مصحفهم حسب ما أقرأهم الصحابة الذين تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم . ثم إن القراء بعد ذلك تفرقوا وخلف من بعدهم خلف تصدوا للإقراء ، حتى خاف أئمة المسلمين أن يلبس الباطل بالحق ، فجمعوا الحروف والقراءات ، وميزوا بين الصحيح وغيره ، وقالوا :

كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه. ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً^(١)،
وصح سندها : فهي القراءة الصحيحة .

واعلم أنه من المعلوم أن الله خاطب خلقه بما يفهمونه ؛ ولذلك أرسل كل رسول
بلسان قومه ، وأنزل كتابه على لغتهم ، وقد نزل القرآن بلسان عربي مبين في زمن أفصح
العرب ، وكانوا يعلمون ظاهره وأحكامه ، لكن القرآن يعلو على غيره من الكلام
العربي بألفاظه الجزلة ومعانيه الدقيقة ، ومن هنا كان بعضه يحتاج من الصحابة إلى النظر
والبحث مع سؤا لهم النبي صلى الله عليه وسلم عما استغلق عليهم فهمه^(٢) .

والناظر في كتب السنة يجد الأمثلة الكثيرة لإجابة النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه
أمام أسئلتهم :

(١) روى الإمام أحمد والشيخان وغيرهم عن عائشة رضی الله عنها قالت « قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : ليس أحد يحاسب إلا هلك ، قالت قلت يا رسول الله : جعلني
الله فداك ، أليس يقول الله عز وجل : ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب
حساباً يسيراً ﴾ ؟ قال : ذاك العرض يعرضون ومن نوقش الحساب هلك » اللفظ للبخارى^(٣) .

(٢) وروى البخارى وغيره عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : « قلت يا رسول
الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود ؟ أهما الخيطان ؟ قال : إنك لعريض التقا إن
أبصرت الخيطين ، ثم قال : لا بل هو سواد الليل وبياض النهار »^(٤) .

(١) قد توافق بعض القراءات الرسم تحقيقاً وتوافقه بعضها تقديراً نحو « ملك يوم الدين » فإنه
كتب بغير ألف في جميع المصاحف ، فقراءة الحذف تحتمله تحقيقاً ، وقراءة الالف تحتمله تقديراً ،
فتكون الألف حذف اختصاراً . [النشر ١-١١] . (٢) الإتيان (٢-١٧٤) .
(٣) صحيح البخارى (١-٣٧ ، ٦-٢٠٨) . (٤) نفس المرجع (٦-٣١) .

ولقد تصدى الصحابة والتابعون إلى تفسير كتاب الله تعالى ، وهم لا يجتمعون على ضلالة - من ذلك :

(١) ما رواه البخارى عن ابن عباس قال : « كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد في نفسه ، فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من حيث علمتم ، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فمأرثت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم ، قال : ما تقولون في قول الله تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً . فقال لى : أكذاك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له ، قال : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ وذلك علامة أجلك ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول » (١) .

(٢) وعند البخارى عن مجاهد قال (يدع) يدفع عن حقه ، يقال : هو من دعت يدعون يدفعون (ساهون) لاهون (والماعون) المعروف كاه ، وقال بعض العرب للماعون الماء . وقال عكرمة : أعلاها الزكاة المفروضة وأدناها عارية المتاع (٢) .

ولقد روت كتب التفسير كثيراً من أقوال التابعين في تفسير القرآن باجتهادهم ، معتمدين على ما عرفوه من لغات العرب وفنونهم في القول ، واضعين نصب أعينهم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » (٣) .

ثم بعد عصر التابعين جاء من جمع أقوال الصحابة والتابعين ، كتفسير ابن عيينة ووكيع وعبد الرزاق وعبد بن حميد وغيرهم ، ثم من بعدهم تفسير ابن جرير الطبرى ،

(١) نفس المرجع (٦-٢٢١) (٢) نفس المرجع (٦-٢١٩) .

(٣) رواه أبو داود والبيهقى من طرق من حديث ابن عباس . الإتيقان (٢-١٧٩) والبرهان في

علوم القرآن (٢-١٦١) .

وهو من أجل التفاسير ، ثم جاء خلائق اختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال غير معزوة لأصحابها ، فالتبس الصحيح بالعليل . ثم نقل عنهم ذلك من جاء بعدهم غير ملتفت إلى تحرير ما نقل عن السلف الصالح . ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في علوم ، فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي غلب عليه ، فنرى أبا حيان في البحر والنهر يهتم بقواعد النحو ، والترطبي يهتم بالفقه في الجامع لأحكام القرآن ، والفخر الرازي يهتم بالعلوم العقلية في مفاتيح الغيب ، وغيرهم كثير .

ثم ظهر في عصرنا الحاضر من تكلم في القرآن برأيه ، غير معتمد على الأدوات التي يحتاج إليها المفسر ، وهذا وضع خطير للتفسير لا يرضاه غيور على الدين ، ولقد أوجب العلماء على المفسر بجانب وجوب معرفته اللغة والنحو والتصريف والبلاغة العربية والقراءات وأصول الدين والفقه وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وتاريخ الأمة العربية وأهل الكتاب ، والوقوف على السنة المبينة للقرآن : بجانب هذا أوجبوا أن يكون من أهل الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، يقول سفيمان الثوري : « لا يجتمع فهم القرآن والاشتغال بالحطام في قلب مؤمن أبداً » وروى عن السكبي قال : « رأيت الحسن بمكة فسألته فلم يجبني ، فقلت : نسألكم معاشر الفقهاء فلا تجيبوننا ؟ فقال : ويحك وهل رأيت بعينيك فقيها قط ؟ وهل تدري من الفقيه ؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة الدائب في العبادة البصير بدينه » (١) .

واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا تظهر له أسرارها ، وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو وهو مصر على ذنب أو معتمد على قول مفسر ليس عنده علم ، ويجب أن يضع نصب عينيه حديث « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » حتى يزيل الله عنه الحجب (٢) .

(١) مقدمتان في علوم القرآن (١٧٦) .

(٢) الإنقان (٢-١٨١) والحديث رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه .

يجب أن نعلم أن شرف الإنسان بما يعرف ويعقل ، ولما كان القرآن أعظم كتاب منزل كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل رسول بعث ، وكانت أمته من العرب والعجم أفضل أمة أخرجت للناس ، وكان حملته وقراؤه ومقرئوه أفضل هذه الأمة ، وكان أعظم ما يتقرب به إلى الله تلاوة القرآن : يقول الإمام أحمد بن حنبل : « رأيت رب العزة في النوم ، فقلت ما أفضل ما يتقرب به المتقربون إليك ؟ قال بكلامي يا أحمد ، فقلت يا رب بفهم أو بغير فهم ؟ قال بفهم وبغير فهم » (١) .

وإذا كان شرف العلم من شرف موضوعه فإن أشرف العلوم على الإطلاق تفسير القرآن الكريم ومدارسته ، قال تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ يَشَاءُ مَنْ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ ﴾ قال : « المعرفة بالقرآن : ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله » وأخرج ابن مردويه من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً « يُؤْتِي الْحِكْمَةَ : قال القرآن ، قال ابن عباس يعنى تفسيره ، فإنه قد قرأه البر والفاجر » (٢) .

ولقد تضافرت الهمم وعظمت العناية بدراسة القرآن الكريم ، وتنوعت المؤلفات فيه ، في كل جيل منذ أوائل القرن الثاني الهجري حتى اليوم ، تشهد بذلك مكتبات العالم الإسلامي وغير الإسلامي (٣) . وتلك معجزة من معجزات القرآن الكريم ، إذ أنه لا يزال كههد النبي صلى الله عليه وسلم به ، رغم ما اعترى الحكومات الإسلامية من وهن عبر التاريخ الماضي والحاضر ، وصدق الله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ . (وبعد) : فهذه فصول من عناية الأمة الإسلامية بالقرآن الكريم ، وفيها نثبت سلامة القرآن من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ، وأن القرآن وصل إلينا بطريق التواتر في كل طبقة كما بلغه النبي صلى الله عليه وسلم . وبالله التوفيق .

(١) النشر (٤-١) . (٢) الإفتان (٢-١٧٥) .

(٣) انظر أشهر المؤلفات في علوم القرآن الكريم للمؤلفين (ص ١٦ : ٢٥) من الجزء الأول

في علوم القرآن الكريم .

الفصل الأول

آيات القرآن الكريم وسوره

الآيات : جمع آية - وتطلق الآية في اللغة على :

- ١ - المعجزة : ومنه قوله تعالى : « وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله »
أى بمعجزة .
 - ٢ - العلامة : ومنه قوله تعالى « إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت » . . . الآية .
أى علامة ملكه .
 - ٣ - العبرة : ومنه قوله تعالى : « إن في ذلك لآية » أى لعبرة لمن يعتبر .
 - ٤ - الأمر العجيب : ومنه قوله تعالى : « وجعلنا ابن مريم وأمه آية » . أى كل
واحد صار أمراً عجيباً بالآخر .
 - ٥ - الجماعة : ومنه قولهم : خرج القوم بآيتهم . أى بجماعتهم .
 - ٦ - الدليل : ومنه قوله تعالى : « ومن آياته خلق السموات والأرض » أى من
أدلة وجوده وقدرته .
- وهذه كلها إطلاقات لغوية ، وبعضها قد يستلزم بعضها الآخر .
ومن الواضح البين مناسبة المعنى اللغوي للآية القرآنية ، فهى من القرآن المعجز ،
وهى علامة على صدق الآتى بها صلى الله عليه وسلم ، وفيها عبرة لمن أراد أن يذكر وهى
من الأمور العجيبة لسمو أسلوبها ومعناها ، وفيها معنى الجماعة لأنها مؤلفة من الحروف
والكلمات ، وفيها معنى الدليل لأنها برهان على ما تضمنته من هداية وعلم .
واشتقاق الآية إما من أى فإنها هى التى تبين أيّاً من أى . أو من التأتى الذى هو
التثبت والإقامة على الشئ . أو من قولهم أوى إليه .

ووزنها قيل هو فعلة ، وحق مثلها أن يكون لامه معتلا دون عينه نحو حياة ، لكن صحح لوقوع الياء قبله نحو راية. وقيل فعلة إلا أنها قلبت كراهة التضعيف كطائي في طي وقيل هو فاعلة وأصلها آيية فحفت فصارت آية، وذلك ضعيف لقولهم في تصغيرها آيية ، ولو كانت فاعلة لقيل أويية . والأول قول سيديويه والأخير للكسائي (١) .

وأما حد الآية القرآنية : فهو قرآن مركب من جمل ولوتقديرًا ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة - أو طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها ليس بينها شبه بما سواها . وليس معنى هذا أن الآية لا تعلق لها بمعنى سابقتها ولا حقتها ، بل المراد أنها مستقلة في العد ولا تكون جزءا مما قبلها أو بعدها.

قال أبو عمرو والداني وابن المنير في البحر : لانعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله تعالى « مدهامتان » وقال غيرهما : بل فيه غيرها مثل « والنجم » . « والضحي » . « والعصر » وفواتح السور عند من عدّها آية .

ولا طريق لمعرفة الآي سوى النقل عن الصحابة الذين سمعوا القرآن من الرسول صلى الله عليه وسلم . قال الزمخشري : الآيات علم توقيفي لا مجال للقياس فيه ؛ ولذلك عدوا (الم) آية حيث وقعت - وهي ست - و (المص) ، ولم يعدوا (المر) و (المر) وهي في خمس سور ، وعدوا (حم) آية في سورها وهي سبعة و (حم عسق) آيتان . وكذا (طه . ويس) ولم يعدوا (طس) النمل و (طسم) آية في الشعراء والقصص .

ومما يدل على أنه توقيفي أيضا - قول ابن العربي : ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الفاتحة سبع آيات وسورة الملك ثلاثون آية . وضح أنه قرأ العشر الآيات انخواتم من سورة آل عمران . قال : وفي آياته طويل وقصير ومنه ما ينقطع ومنه ما ينتهي إلى تمام الكلام ومنه ما يكون في أثناءه كقوله « أنعمت عليهم » على مذهب أهل المدينة فإنهم يعدونها آية ، وينبغي أن يعول في ذلك على فعل السلف (٢) .

(١) انظر المفردات ص (٣٣ ، ٣٤) - (والإتقان (ج ١ ص ٦٦) والبرهان (ج ١ ص ٢٦٦) .

(٢) البرهان (١ - ٢٦٨) والإتقان (١ - ٦٦ ، ٦٧) .

سبب الخلاف في عدد آيات القرآن

أجمع العلماء على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف ، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك ، فمنهم من قال مائتا آية وأربع آيات ، ومنهم من قال مائتا آية وأربع عشرة ، ومنهم من قال مائتا آية وتسع عشرة ، ومنهم من قال مائتا آية وخمس وعشرون ، ومنهم من قال مائتا آية وست وثلاثون .

وسبب اختلاف السلف في عدد الآي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رءوس الآي للتوقيف ، فإذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة . ثم إن بعض القراء يعد البسمة آية من كل سورة وبعضهم لا يعدها^(١) .

وممن عني بإحصاء آي القرآن من الصحابة : ابن عمر وابن عباس وأنس وعائشة وغيرهم . ونقله عنهم التابعون . فمن أهل المدينة عروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز . ومن أهل مكة عطاء بن أبي رباح وطاوس . ومن أهل الكوفة أبو عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش وسعيد بن جبير والشعبي والنخعي . ومن أهل البصرة الحسن البصري وابن سيرين . ومن أهل الشام كعب الأحبار . وغيرهم^(٢) .

ومن فوائد عد الآي :

- ١ - معرفة الوقف .
- ٢ - وأن الإجماع قد انعقد على أن الصلاة لا تصح بنصف آية وقال بعض العلماء تجزئ بآية وقال غيرهم بثلاث آيات وقال غيرهم بسبع آيات .
- ٣ - وأن الإعجاز لا يقع بدون آية ، وقال بعضهم بثلاث آيات^(٣)

(١) الإتيان (١ - ٦٧) . (٢) منار الهدى ص (١٣ و ١٤) .

(٣) الإتيان (١ - ٦٩) .

سور القرآن الكريم

السورة تهمز ولا تهمز . فمن همزها جعلها من أسأرت أى أفضلت . من السور وهو ما بقى من الشراب فى الإناء ، كأنها قطعة من القرآن . ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم وسهلها ، ومنهم من شبهها بسور البناء أى القطعة منه أى منزلة بعد منزلة ، وقيل من سور المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور ، ومنه السوار لإحاطته بالساعد ، وعلى هذا فالواو أصلية ويحتمل أن تكون من السورة بمعنى المرتبة لأن الآيات مرتبة فى كل سورة ترتيبا مناسبا ، وقيل لتركيب بعضها على بعض من التسور بمعنى التصاعد والتركيب ومنه « إذ تسوروا المحراب » أى نزلوا عليه من علو ، وقيل لعلو شأنها وشأن قارئها . والسورة المنزلة الرفيعة : قال النابغة :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك حولها يتذبذب

وهى فى الاصطلاح : قرآن يشتمل على أى ذى فاتحة وخاتمة ، وأقلها ثلاث آيات . أو هى الطائفة من القرآن المسماة باسم خاص بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم . وقد ثبت أن أسماء السور توقيفية يدل على ذلك الأحاديث والآثار ، وفى الصحيح عن ابن مسعود أنه قال « هذا مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة »^(١) .

الحكم من تقطيع القرآن إلى سور

١ — تحقيق كون السورة بمجرد ما معجزة وآية من آيات الله تعالى وسورت السور طولا أو قصارا وأوساطا تنبيهها على أن الطول ليس من شرط الإعجاز ، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهى معجزة إعجاز سورة البقرة .

٢ — أن تكون كل سورة فنا مستقلا وقرآنا معتبرا ، فسورة يوسف مثلا تترجم عن قصته ، وسورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين وأسراهم ، إلى غير ذلك .

(١) الإتيان (١-٥٠) والبرهان (١-٢٦٤) .

- ٣ — أن الشيء إذا كان جنسا واندرجت تحته أنواع واشتملت الأنواع على أصناف كان أحسن وأنعم لشأنه، ولا سيما إذا تلاحت الأجزاء وتجاوبت بحسن الالتئام، وتعاقت الأمثال والحكم والأحكام والقصص في جمال وإحكام .
- ٤ — أن فيه نشاطا للقارىء وأثبت له على التحصيل ، مما لو استمر على الكتاب بطوله ، كالمسافر إذا قطع فرسخا وانتهى إلى رأس برية نفس ذلك عنه ونشطه للسير .
- ٥ — وأيضا فإن الحافظ إذا حذق سورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيعظم عنده ما حفظه ، ومنه حديث أنس « كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جل فينا » ومن ثم كانت القراءة بسورة في الصلاة أفضل .
- ٦ — وفيه حكمة في تدريج الأطفال من السور القصار إلى ما فوقها يسيرا يسيرا ، تيسيرا من الله على عباده لحفظ كتابه ، فترى الطفل يفرح بإتمام السورة فرح من حصل على شيء عظيم . . إلى غير ذلك من الحكم والأسرار^(١) .

تقسيم سور القرآن بحسب طولها وقصرها

الناظر في المصحف يرى أنه مرتب على أن الفاتحة في أوله ثم البقرة ثم آل عمران وهكذا إلى آخر الطول^(٢) . ثم يليها المئون ثم المثاني . ثم المفصل إلى آخر سورة الناس . فالطول : هي سبع سور تبدأ من البقرة وتنتهي ببراءة ، وكانوا يعدون الأنفال مع براءة سورة واحدة حيث نزلتا في القتال ، ولم يفصل بينهما بيسم الله الرحمن الرحيم . وحكى عن سعيد بن جبیر أنه عد السبع الطول من البقرة حتى يونس . وسميت طولاً لاطولها . والمئون : ماولى السبع الطول ، سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها .

(١) مفاتيح الغيب (١-٢٢١ ، ٢٢٢) والبرهان (١-٢٦٤) والإتقان (١-٦٦) .

(٢) الطول جمع طولى كالكبر جمع كبرى - قال أبو خيان وكسر الطاء مردول .

والمثنى : ما ولى المئين - وقد تسمى سور القرآن كلها مثنى لأن الأنبياء والقصص تثنى فيه ، ومنه قوله تعالى « كتابا متشابها مثنى » - ويقال إن المثنى فى قوله تعالى « ولقد آتيناك سبعا من المثنى » هى آيات سورة الفاتحة ؛ لأنها تثنى فى كل ركعة .

والمفصل : ما ولى المثنى من قصار السور ، سمي مفصلا لكثرة الفصول التى بين السور بيسم الله الرحمن الرحيم ، وقيل لقلة المنسوخ فيه - وآخره سورة الناس .
واختلف فى تحديد أوله :

١ - فمن العلماء من قال أوله الجاثية .

٢ - ومنهم من قال أوله القتال - وقال الماوردى : إنه قول الأكثرين .

٣ - ومنهم من قال أوله الحجرات .

٤ - والصحيح أن أوله ق - قال الماوردى فى تفسيره : حكاه عيسى بن عمر عن

كثير من الصحابة . وهو الذى يؤيده الحديث الذى رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد من حديث أوس بن حذيفة قال « قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد ثقيف ، قال : فنزلت الأحلاف على المقيرة بن شعبة ، وأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى مالك فى قبة له . قال مسدد - وكان فى الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثقيف - قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ليلة بعد العشاء يحدثنا - قال أبو سعيد : قائما على راحلته - ثم يقول « لا سواء كنا مستضعفين مستذلين - قال مسدد بمكة - فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ، ندال عليهم ويدلون علينا » فلما كانت ليلة أبطأ عن الوقت الذى كان يأتينا فيه فقلنا لقد أبطأت علينا الليلة ، قال « إنه طرأ على حزبي من القرآن فكرهت أن أجيء حتى أتمه » قال أوس : فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف تجزبون القرآن ؟ فقالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب الفصل وحده .

وفي لفظ ابن ماجه « فيحدثنا قائماً على رجله حتى يراوح بين رجله، وأكثر ما يحدثنا مالتى من قومه من قريش ». وحسن ابن كثير إسناده^(١). وعلى هذا فإذا جمعنا حزب الستة الأولى كان الحاصل ثمانيا وأربعين سورة، فتسكون التي بعدهن سورة ق . ومعلوم أن ترتيب التلاوة غير ترتيب النزول، وقد كان لهذا الترتيب شأن عجيب فقد اكتمل نزول الكتاب وصار دستوراً لخبر أمة. ترجع إليه في عقائدها وفي استنباط الأحكام منه . ولا شك أن هذا يستدعى ترتيباً غير ترتيب النزول، حيث روعى فيه أحوال القضايا التي نزل بشأنها القرآن وحال الداعى صلى الله عليه وسلم وحال المدعويين .

ترتيب القرآن الكريم

نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغه صحابته رضوان الله عليهم، وكان يكتب في صحف تحفظ عنده صلى الله عليه وسلم، ومن الصحابة من كان يكتب لنفسه خاصة، ومهما يكن من أمر فإنهم عنوا به أشد عناية. بحيث لم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا وكان محفوظاً عند جمع يحصل بهم التواتر، وقد كتب كله في قرطيس متفرقة، وإن كانوا يعرفون ترتيبه كما وقفهم عليه صلى الله عليه وسلم من تعليمه وقراءته في الصلاة وخارجها، وإذا كانت العرب تهتم بكل نفيس عندها استظهاراً وكتابة فإن القرآن أنفوس من كل نفيس، فلا عجب أن لقي عناية فائقة في الناحيتين ناحية الاستظهار وناحية التسجيل في الصحف .

ولقد اقتضت حكمة الخبير وهو أعلم بالنفوس أن يكون هذا الذكر الحكيم جامعاً لكل طرق الهدى لكونه ختاماً . وأن يكون معجزاً لكونه تماماً ونزله على سبيل

(١) انظر البرهان [١ - ٢٤٤ : ٢٤٧]، وسنن أبي داود [باب تحزيب القرآن]، وسنن ابن

ماجه كتاب الإقامة [١ - ٤٢٧ : ٤٢٨]، والفتح الرباني [١٨ - ٢٨ : ٢٩]، وقضايا القرآن [٢٦] .

التدرج بعضه في إثر بعض ، ليكون جواباً لأقوالهم وحلاً لإشكالهم ، فيكون أقرب إلى العقول وأولى بالتدبر والتذكر وأظهر في الإدراك والنفوس أشد تقبلاً له لما هو عليه من حسن النظام والقرب إلى الإفهام « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » .

قال الخطابي: إن أجناس الكلام ومراتبه مختلفة: فمنها البليغ الجزل والفضيح السهل والجائز الرسل ، فالأول أعلى طبقات الكلام والثاني أوسطه والثالث أقربيه .

وقد حاز القرآن من كل نوع منها فانتظم له نمط من الكلام يجمع بين صفتي الفخامة والعدوبة ، « وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم ، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاوفاً وتشاكلاً من نظمه . وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها ، والترقى إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها... فتفهم الآن . واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني . . . ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور ، والجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتنسق ، أمر تعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه قدرهم »^(١) . . الخ

لقد كان للنجوم القرآنية في تنزيلها وترتيبها ظاهرتان مختلفتان ، وسبيلان قلما يلتقيان ولقد خلص لنا من بين اختلافهما أكبر العبر في أمر هذا النظم القرآني: فلو أنك نظرت إلى هذه النجوم عند تنزيلها ونظرت إلى مامهد لها من أسبابها لرأيت قولاً مرتجلاً عند باعته — ولو أنك نظرت في الوقت نفسه وقد أعد لكل نجم مكانه الخاص لرأيت أن هناك خطة شاملة تفصيلية قد رسمت فيها مواقع النجوم قبل نزولها ، بل من قبل أن تخلق

(١) بيان إعجاز القرآن (ص ٢٣ : ٢٥) .

أسبابها، وأن هذه الخطة قد أبرمت بأكد العزم والتصميم، فما من نجم وضع في مكان ما من السورة ثم وجد عنه أبد الدهر مصرفاً ولا متحولاً، ولن تجد هذه الأوضاع إلا مقصودة بعينها، كما ظهر القصد في كل طائفة أن تنتظم منها وحدة محدودة ذات ترتيب ومقدار بعينه^(١). وصدق الله العظيم « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ». « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ».

ترتيب الآيات في سورها

أجمعت الأمة على أن ترتيب الآيات في سورها - على ما نراه في المصاحف - واقع بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت الآيات تنزل عليه ويده جبريل على مكانها، ويبلغها صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه، ويأمر كتاب الوحي بوضعها في مكانها. أما الإجماع فقد نقله غير واحد من العلماء. منهم الزركشي في البرهان، قال « فأما الآيات في كل سورة ووضع البسمة أوائلها فترتيبها توقيفي بلا شك ولا خلاف فيه، ولهذا لا يجوز تعكيسها »^(٢).

« وقال القاضي أبو بكر: إن الأمة ضبطت عن النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب أي كل سورة وموضعها وعرفت مواقعها »^(٣).

ومن نقل الإجماع أيضاً أبو جعفر بن الزبير في مناسباته حيث قال « ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وأمره من غير خلاف في هذا بين المسامين » وقال ابن الحصار « ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا. وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف »^(٤).

(١) عن النبأ العظيم (١٤٥ : ١٤٧) بتصرف .

(٢) البرهان (١ - ٢٥٦) .

(٤) الإتيان (١ - ٦٠، ٦١، ٦٢) .

(٣) الإتيان (١ - ٦١) .

ومن الأحاديث الدالة على ذلك :

١ - ما أخرجه البيهقي والإمام أحمد [وهذا لفظه] والترمذى وحسنه والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي « عن زيد بن ثابت قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع ، إذ قال طوبى للشام قيل ولم ذلك يا رسول الله ؟ قال : إن ملائكة الرحمة باسطة أجنحتها عليه « وعند الحاكم « لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم »^(١) .

٢ - روى الترمذى والحاكم وابن حبان وأبو داود وأحمد من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب ، فيقول ضعوا هذه الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا » حسنه الترمذى وصرح به ابن حبان والحاكم^(٢) .

٣ - فى القرآن آيات ذكر فيها الناسخ والممنسوخ وقدم الناسخ - كآية « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم » . . . بعد « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يترصدن بأنفسهن » . . . روى البخارى أن ابن الزبير قال « قلت لعثمان بن عفان (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا) قال قد نسخها الآية الأخرى فلم تكتبها - أو تدعها - قال يابن أخى لا أغتبر شيئا منه من مكانه » . يعنى لم تكتبها وقد علمت أنها منسوخة أو قال تدعها مكتوبة ؟ شك من الراوى .

« وفى جواب عثمان هذا دليل على أن ترتيب الآى توقيفى ، وكان عبد الله بن الزبير ظن أن الذى ينسخ حكمه لا يكتب ، فأجابه عثمان بأن ذلك ليس بلازم والمتبع فيه التوقيف »^(٣) .

(١) الفتح الربانى (١٨ - ٣٠) ، والمستدرک (٢ - ٢٢٩) .

(٢) فتح البارى (٩ - ١٨) ، والبرهان (١ - ٢٤١) . (٣) فتح البارى (٨ - ١٥٥) .

٤ - ومن الأدلة أيضاً ما أخرجه الإمام أحمد وغيره بإسناد حسن عن عثمان بن أبي العاص قال : « كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا إذ شخض ببصره ثم صوبه حتى كاد أن يلزقه بالأرض قال : ثم شخض ببصره فقال : أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من السورة » إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى »^(١) الآية . فهذا يدل على أن جبريل عليه السلام كان يعلم النبي صلى الله عليه وسلم الآية من السورة .

٥ - أحاديث خواتيم البقرة وأوائل الكهف وخواتيم آل عمران :

روى البخارى ومسلم وغيرهما عن أبي مسعود قال « قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه » وروى البخارى والنسائى وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما « أنه بات عند ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهى خالته ، قال ، فاضطجعت فى عرض الوسادة ، واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله فى طولها ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ، ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم عن وجهه بيديه ، ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران . . » الحديث . وروى مسلم والبخارى وغيرهما عن أبي الدرداء مرفوعا « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » وفى رواية « العشر الأواخر من سورة الكهف »^(٢) .

٦ - وهناك روايات فى كتب السنة تثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ سوراً بتمامها . منها ما رواه البخارى والنسائى وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « إن أم الفضل سمعته وهو يقرأ » والمرسلات عرفاً » فقالت : يا بنى والله لقد ذكرتنى

(١) الفتح الربانى (١٨ - ١٩١ ، ١٩٢) .

(٢) صحيح مسلم (٦ - ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣) ، وصحيح البخارى (٦ - ٥٢ ، ٢٣١) ، والإنتان

(١ - ٦٠ ، ٦١) - (٢ - ١٥٣ ، ١٥٤) .

بقراءتك هذه السورة ، إنها لآخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في المغرب» (١) وروى مسلم « عن أبي واقد الليثي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الأضحى والفطر بقّ والقرآن المجيد واقتربت الساعة وانشق القمر » وروى عن النعمان بن بشير قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية . قال : وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضا في الصلاتين » (٢) . ومعلوم أن هذه السور لم تنزل جملة واحدة بل نزل بعضها على أزمنة متفرقة ، وقد رتبها الصحابة على ما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم وما كانوا يفعلوا خلافه ، فيبلغ ذلك مبلغ التواتر .

٧ - علمنا أن صدر سورة اقرأ إلى قوله « ما لم يعلم » أول ما نزل على الأرجح ، وبعض المفسرين على أن المراد من الإنسان في « كلا إن الإنسان ليطغى » وكذا « أرايت الذي ينهى عبدا إذا صلى » هو أبو جهل ، وعلى هذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بضم ذلك إلى أول السورة ، وهذا من أوضح الأدلة على أن هذا الترتيب إنما كان بأمر الله تعالى ، ولأجله كان صلى الله عليه وسلم يدهم على موضع الآية من السورة ليكتب ويحفظ على نظمه وترتيبه .

لكن قد يشكل على ترتيب الآي : قول زيد بن ثابت في حديث البخاري « فتبعت القرآن أجمعه من العسب واللائخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره » الحديث . وحديث أنس عنده أيضا « قال ابن شهاب : وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها ، فالتسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فألحقناها في سورتها في المصحف » (٣) .

(١) صحيح البخاري (١ - ١٩٤) ، وسنن النسائي (١ - ١٥٤ ، ١٥٥) .

(٢) صحيح مسلم (٦ - ١٦٦ ، ١٨١) . (٣) صحيح البخاري (٦ - ٢٢٦) .

فإن هذا يدل بظاهره على أن القرآن يثبت بخبر الواحد وأن ترتيب الآيات من اجتهاد الصحابة ، وعليه يجد الطاعنون ثغرة يتفدون منها إلى نفي الثبوت عن القرآن وعن كونه متواترا بترتيب من الله تعالى .

ولسكن هذا لا يقدر في الجمع ولا في الترتيب ؛ إذ قول زيد (فقدت آخر سورة التوبة) دليل على أنه كان محفوظا عندهم على هذا الترتيب ، وأيضا قوله (كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها) وقوله (فألقناها في سورتها في المصحف) فهذا يدل على أن زيدا والصحابة كانوا يعرفون موضع الآيتين من سورتيهما ، فلم تكونا ملحمتين بهامش المصحف مثلا . وقد أجمع قراء الأمصار على تلقينه على هذا الترتيب ، وأسانيدهم متصلة بنقل العدول عن العدول إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

ولعل تتبع زيد لها كان للاستظهار لا لاستحداث العلم ، وأما قوله (لم أجدها مع أحد غيره) فقد اجتمع في هذه الآية زيد وعمر وأبو خزيمة ، وعند ابن أبي داود من طريق محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه أن الحارث ابن خزيمة جاء بأبيتي براءة إلى عمر فقال « من معك على هذا ؟ قال لا أدري والله إلا أني أشهد أني سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيتها وحفظتها ، فقال عمر : وأنا أشهد لسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم » إلخ^(١) وقد انضم إليهم عثمان أيضا فقد روى من طريق يحيى بن عبد الرحمن أن عثمان قال « فأنا أشهد أنهما من عند الله تعالى^(٢) » . وقد سبق القول أن أبا كان ضمن السكتبة . وأما حديث الأحزاب فإن فيه خزيمة بن ثابت الأنصاري الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين وقال ابن حجر « والذي يظهر في الجواب أن الذي أشار إليه أن فقدته : فقد وجودها مكتوبة لا فقد وجودها محفوظة عنده وعند غيره ، ويدل على هذا قوله في حديث جمع القرآن : فأخذت أتبعه من الرقاع والعسب واللخاف »^(٣) ... إلخ .

فالخاصل : أن الصحابة رضوان الله عليهم جمعوا القرآن كما هو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقص ولا تقديم ولا تأخير ، بتوقيف من جبريل عليه السلام عن رب العزة سبحانه .

ترتيب السور

للعلماء في ترتيب السور مذاهب ثلاثة :

- ١ - فمنهم من يقول إن ترتيب السور اجتهادى .
- ٢ - ومنهم من يقول البعض بالتوقيف والبعض بالاجتهاد .
- ٣ - ومنهم من يقول إن الترتيب توقيفى .

١ - القائلون بالاجتهاد

(أ) أبو الحسين أحمد بن فارس . قال « جمع القرآن على ضربين : أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطول وتعقيبها بالثنين ، فهذا الضرب هو الذى تولاه الصحابة رضوان الله عليهم .

وأما الجمع الآخر فضم الآى بعضها إلى بعض وتعقيب القصة بالقصة ، فذلك شىء تولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر ربه عز وجل^(١) .

(ب) الإمام مالك . قال « إنما ألقوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم ، مع قوله بأن ترتيب السور اجتهاد منهم » . . . الخ^(٢) .

(ج) القاضى أبو بكر الباقلانى فى أحد قولييه . أورد سؤالاً مؤداه أن السلف اختلفوا فى ترتيب السور اختلافاً شديداً . ثم قال « فالجواب أنه يَحتمل أن يكون ترتيب

(١) البرهان (١ - ٢٥٨ ، ٢٥٩) . (٢) البرهان (١ - ٢٥٧) .

السور على ما هي عليه اليوم في المصحف كان على وجه الاجتهاد من الصحابة»^(١) .. الخ وحكى عنه السيوطى قوله : « إن الأمة ضبطت عن النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب آى كل سورة وموضعها وعرفت مواقعها كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة ، وأنه يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد رتب سوره ، وأن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده ، ولم يتول ذلك بنفسه . قال : وهذا الثانى أقرب^(٢) » .

وأما ابن عطية فقد نقل عنه الجزم فى ذلك حيث قال « قال القاضى أبو بكر بن الطيب : وترتيب السور اليوم هو من تلقاء زيد ومن كان معه ، مع مشاركة من عثمان رضى الله عنه فى ذلك ، وقد ذكر ذلك مكى رحمه الله فى تفسير سورة براءة^(٣) » .

دليلهم : حديث أحمد والنسائى ومسلم عن حذيفة قال : « صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ، ثم مضى ، فقلت يصلى بها فى ركعة فمضى ، فقلت يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها مترسلا ، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ ... » الحديث قال الإمام النووى فى شرحه « قال القاضى عياض فيه دليل لمن يقول إن ترتيب السور اجتهاد من المسلمين حين كتبوا المصحف ، وأنه لم يكن ذلك من ترتيب النبي صلى الله عليه وسلم ، بل وكله إلى أمته بعده » . . . الخ^(٤) .

ويستدلون أيضا باختلاف مصاحف السلف فى ترتيب السور ، فمنهم من رتبها على ترتيب النزول ، وهو مصحف على . وكان أول مصحف ابن مسعود البقرة ثم النساء ثم آل عمران . وكذا مصحف أبى على اختلاف شديد فى الترتيب . وفى المصاحف لابن أشته أن عثمان أمرهم أن يتابعوا الطول ، فجعلت سورة الأنفال والتوبة فى السبع ولم يفصل بينهما

(١) الجامع لأحكام القرآن (١-٥٩) . (٢) الإيقان (١-٦١) . (٣) مقدمة ابن عطية ص ٢٧٥ .

(٤) شرح النووى على مسلم (٦-٦١ ، ٦٢) ونيل الأوطار (٢-٢٣٧) .

بالسمة^(١). ثم يقولون : فهذا الاختلاف الشديد بين مصاحف الصحابة دليل على أنه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء في هذا الباب، وإلا ما ساغ لهم أن يخرجوا عنه.

٢ - القائلون بالتفصيل

(١) قال البيهقي في المدخل : كان القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم مرتبا سورة وآياته على هذا الترتيب ، إلا الأنفال وبراءة ؛ لحديث أحمد وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وغيرهم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « قلت لعثمان بن عفان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهى من المثاني وإلى براءة وهى من المثنين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا - قال ابن جعفر : بينهما سطرًا بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال ؟ ما حملكم على ذلك ؟ قال عثمان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مما يأتي عليه الزمان يُنزل عليه من السور ذوات العدد ، وكان إذا أنزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده ، يقول ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وينزل عليه الآية فيقول ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا . وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة وبراءة من آخر القرآن ، فكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها ، وظننت أنها منها ، فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطرًا بسم الله الرحمن الرحيم . قال ابن جعفر : ووضعتها في السبع الطوال »^(٢).

(ب) ويعلق ابن حجر على هذا الحديث بقوله « فهذا يدل على أن ترتيب الآيات في كل سورة كان توقيفياً، ولما لم يفصح النبي صلى الله عليه وسلم بأمر براءة أضافها عثمان

(١) الإتيان (٦٢-٦٣) وتناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي مخطوطة ص (٤٧) - (٣٢٧)

بجاميع تيمور .

(٢) الفتح الرباني (١٨-١٥٤ ، ١٥٥) وتناسق الدرر (٤٧ ب) والإتيان (١-٦٢) .

إلى الأنفال اجتهادا منه رضى الله تعالى عنه « ثم يذكر حديث أوس في تحزيب القرآن ويقول « فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن الذى كان مرتبا حينئذ حزب المفصل خاصة، بخلاف ما عدها فيحتمل أن يكون كان فيه تقديم وتأخير، كما ثبت من حديث حذيفة أنه صلى الله عليه وسلم قرأ النساء بعد البقرة قبل آل عمران » (١).

(ج) وأما السيوطى فقد قال : إنه ينبغى القول بأن محل الخلاف إنما هو في ترتيب سور الأقسام الأربعة ، وأما نفس الأقسام من الطول ثم المثين ثم المثانى ثم المفصل فلا خلاف في ترتيبها إجمالا . فهذا يقتضى القطع بأنه توقيفى وأن يدعى فيه الإجماع . وتوصل إلى هذا القول مما تقدم من الأحاديث ومن حديث ابن عباس فى اقتران براءة بالأنفال ، ومن أن المصاحف التى وقع فيها الاختلاف فى الترتيب اتفقت على هذا الترتيب ، واختلافها إنما كان فى ترتيب سور كل قسم - ثم قال « فإذا تحرر ذلك ونظرنا إلى محل الخلاف ، فالتختر عندى فى ذلك ما قاله البيهقى ، وهو أن كل السور توقيفية سوى الأنفال وبراءة » (٢).

(د) وقال ابن عطية « وظاهر الآثار أن السبعة الطول والحواميم والمفصل كان مرتبا فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان فى السور ما لم يرتب ، فذاك هو الذى رتب وقت الكتف » (٣) . أى يكون فوض إلى الأمة أمر ترتيبه .

(هـ) وقال أبو جعفر بن الزبير : الآثار تشهد بأكثر مما نص عليه ابن عطية ويبقى منها القليل الذى يمكن أن يجرى فيه الخلاف . . من ذلك - أى مما نص على ترتيبه - الزهراوان والسبع الطوال والمفصل والإسراء والكهف ومريم وطه والأنبياء وقل هو الله أحد والمعوذتان ؛ للأحاديث الواردة فيها . وهى قوله صلى الله عليه وسلم « اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان » رواه مسلم عن

(١) فتح البارى (١٠ - ٤١٨) .

(٢) تناسق الدرر (س ٤٨) .

(٣) مقدمة ابن عطية (٢٧٦) .

أبي أمامة الباهلي^(١). وحديث سعيد بن خالد الذي رواه ابن أبي شيبة في مصنفه «قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبع الطوال في ركعة، وأنه صلى الله عليه وسلم كان يجمع المفصل في ركعة»^(٢). وفي البخارى أن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «بنى إسرائيل والكهف ومريم ووطه والأنبياء هن من العتاق الأول وهن من تلادى»^(٣) فذكرت نسقا كما استقر ترتيبها. وعنده أيضا عن عائشة رضى الله عنها «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس. ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده»^(٤).. الحديث

٣ — القائلون بالتوقيف

قال جمهور العلماء إن ترتيب السور على ما عليه المصحف اليوم بتوقيف من الرسول عليه الصلاة والسلام. على ما استقر في العرصة الأخيرة، وأما اختلاف المصاحف فقد كان أولا، ثم رتب الرسول صلى الله عليه وسلم لهم السور بعد ذلك.

(١) فقد قال القاضى أبو بكر فى كتاب (الانتصار): لم يقصد عثمان قصد أبى بكر

فى جمع نفس القرآن بين لوحين وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبى صلى الله عليه وسلم وإلغاء ما ليس كذلك وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير» ويقول «ومن أفسد نظم القرآن فقد كفر به»^(٥). وهذا هو رأى الثانى المرجوح، وقد سبق نقل عبارته فى هذا وأنه قال إن كونه من عمل الصحابة أقرب.

(ب) وفى عرض ابن حجر لحديث أوس بن حذيفة فى تحزيب القرآن وفى تعليقه عليه

بقوله «فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو فى المصحف الآن كان فى عهد النبى

(١) صحيح مسلم (٦ - ٩٠) . (٢) الإتيقان (١ - ٦٢) .

(٣) صحيح البخارى (٦ - ١٢١) . (٤) صحيح البخارى (٦ - ٢٣٤) .

(٥) الإتيقان (١ - ٦٠)، والبرهان (١ - ٢٦٠) .

صلى الله عليه وسلم « الخ وفيه دليل على أن الأنفال والعوبة مستقلتان : فيه ما يشهد له بأنه يقول إن الترتيب توقيفي - ويمكننا أن نقول إن هذا رأى آخر له .

(ج) وقال أبو جعفر بن النحاس: المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم . لحديث واثلة بن الأسقع أنه عليه الصلاة والسلام قال « أعطيت مكان التوراة السبع الطوال وأعطيت مكان الزبور المثين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالفصل » . قال « وهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي صلى الله عليه وسلم وأنه مؤلف من ذلك الوقت، وإنما جمع في المصحف على شيء واحد... »^(١) الخ. وروى هذا الحديث الإمام أحمد والطيالسي والطبراني وغيرهم - وفي الحديث عمران بن القطان احتج به الحاكم وابن خزيمة وابن حبان وغيرهم . وقال ابن عدى هو ممن يكتب حديثه - وضعفه النسائي - فهو حديث حسن . وقد رواه الميثمي عن أبي أمامة بلفظ « أعطاني ربي السبع الطول مكان التوراة والمثين مكان الإنجيل وفضلت بالفصل » قال وفيه ليث ابن أبي سليم وقد ضعفه جماعة ويعتبر بحديثه وبقية رجاله رجال الصحيح »^(٢) .

(د) وقال أبو بكر بن الأنباري « كان جبريل يوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآية ، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف ، فكله عن محمد خاتم النبيين عليه السلام عن رب العالمين ، فمن آخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخره فهو كمن أفسد نظم الآيات وغير الحروف والكلمات ، ولا حجة على أهل الحق في تقديم البقرة على الأنعام والأنعام نزلت قبل البقرة ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ عنه هذا الترتيب . . . »^(٣) الخ .

(هـ) وذكر ابن وهب وابن أشته من طريق ابن وهب عن سليمان بن بلال قال « سمعت ربينة يسأل : لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة

(١) البرهان ج١ ص ٢٥٨ . (٢) تناسق الدرر (٤٧ ب) والبرهان (١-٢٤٤) وجمع الزوائد

(٧ - ١٥٨ ، ١٥٩) وجواهر البيان (١١) . (٣) تفسير القرطبي (١-٦٠) .

وإنما نزلنا بالمدينة؟ فقال ربيعة: قد قدمت وألف القرآن على علم ممن ألهه، وقد اجتمعوا على العلم بذلك، فهذا مما ينتهي إليه ولا نسأل عنه»^(١).

(و) وقال الإمام البغوي في شرح السنة « ثبت أن سعى الصحابة كان في جمعه في مكان واحد لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا ثم كان ينزله مفرقا عند الحاجة»^(٢). الخ.

(ز) وقال برهان الدين الكرماني « أول انقرآن سورة الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران على هذا الترتيب إلى سورة الناس، وهكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ، وهو على هذا الترتيب كان يعرض عليه الصلاة والسلام على جبريل عليه السلام كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرض عليه الصلاة والسلام في السنة التي توفي فيها مرتين. ولو حلف إنسان أن يقرأ القرآن على الترتيب لم يلزمه إلا على هذا الترتيب، ولو نزل جملة كما اقترحوا عليه بقوله (لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) لنزل على هذا الترتيب»^(٣). الخ.

كانت تلك أقوال بعض الأئمة في أن ترتيب السور توقيفي، ولولا الخوف من الإطالة لأتينا بالمزيد، ولكن يكفي في الجملة قول القرطبي « وقال قوم من أهل العلم: إن تأليف سور القرآن على ما هو عليه في مصحفنا كان عن توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم»^(٤).

ومن هنا تعلم مدى مجانبية الحافظ السيوطي للصواب حينما قال بعد إثبات أن ترتيب الآيات توقيفي: « أما ترتيب السور فهل هو توقيفي أيضا أو هو باجتهاد من الصحابة؟ خلاف. فجمهور العلماء على الثاني...»^(٥) الخ بل الجمهور على الأول وهو الذي تؤيده الأدلة، وما استدلل به المخالف لا يستقيم. وإجماع الصحابة رضى الله عنهم أقوى دليل على

(١) تفسير القرطبي (١ - ٥٩، ٦٠) والإنتان (١ - ٦٣). (٢) الإنتان (١ - ٦١).

(٣) البرهان في مشابهة القرآن مخطوطة (رقم ١٩٤ - علوم قرآن بالأزهرية) ص ٥٠.

(٤) الجلاء لأحكام القرآن (١ - ٦٠). (٥) الإنتان (١ - ٦٢).

أنهم وجدوا ما أفادهم علما ولم يدع عندهم مجالا لأدنى وهم « فلا بد إما من التصريح بمواضع الآيات والسور وإما من الرمز إليهم بذلك ، وإجماع الصحابة في المآل على هذا الترتيب وعدولهم عما كان أولا من بعضهم على غيره من الأساليب - وهم الذين لا تلين قناتهم لباطل ولا يصددهم عن اتباع الحق لوم لائم ولا قول قائل - أقوى دليل على أنهم وجدوا ما أفادهم علما ، ولم يدع عندهم خيالا ولا وهما^(١) » . الخ

١ - أما استدلال المخالف باختلاف مصاحف الصحابة ، فإن اختلافها يدل على أنه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء فيه وإلا ما ساغ لهم تجاوزه . ولو كانت بتوقيف لتمسك أصحابها بها ولما دفعوها إلى التحريق ، ومن جهة أخرى فإن مصحف عثمان لو كان اجتهاديا لما وافقوه على ذلك ؛ لأنه ليس للمجتهد أن يقلد مجتهدا آخر ، كما هو مقرر عند الأصوليين .

ولنقرأ معاً كلام النيسابورى في السبب الذى من أجله لم تسكن الصحابة توالى بين سور القرآن فى حياته صلى الله عليه وسلم قال « واعلم أن القرآن كان مجموعا على عهدى صلى الله عليه وسلم ، فإنه ما نزلت آية إلا وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يكتب له أن يضعها فى موضع كذا من سورة كذا ، ولا نزلت سورة إلا وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكاتب أن يضعها بجانب سورة كذا . روى عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال : ضعوا هذه السورة فى الموضع الذى يذكر فيه كذا وكذا^(٢) . . الحديث . غير أنهم لم يكونوا قد جمعوها فيما بين اللفتين ولم يلزموا القراءة توالى سورها ؛ وذلك أن الواحد منهم إذا حفظ سورة أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كتبها ثم خرج

(١) مقدمة تفسير الألوسى (١ - ٢٧) .

(٢) رواه أبو داود فى الصلاة والترمذى فى التفسير ، وكذا رواه النسائى وأحمد والحاكم [ذخائر

الموارث ج ٢ ص ٢٣٣ ، التذكار ص ٢٢ ، ٢٣] .

في سرية فنزلت في وقت مغيبه سورة ، فإنه كان إذا رجع يأخذ في حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابته ، ويتبع ما فاته على حسب ما يتسهل له ، فيقع فيما يكتبه تقديم وتأخير من هذا الوجه ، وقد كان منهم من يعتمد على حفظه ، فلا يكتب على ما كان من عادة العرب في حفظ أنسابها وأشعار شعرائها من غير كتابة ، ومنهم من كان كتبها في مواضع مختلفة من قرطاس وكتف وعصب ، ثقة منهم بما كانوا يعهدونه من جد المسلمين في حفظ القرآن ، فلا يرون بأكثرهم حاجة إلى مصحف ينظر فيه ^(١) .

وأيضاً فإن المسلمين لم يكونوا متفرغين لطلب العلم ؛ إذ كانوا بجانب هذا يسعون لطلب العيش أو غيره « علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله » وروى البخارى في كتاب العلم عن عمر قال : « كنت أنا وجارلى من الأنصار في بنى أمية بن زيد - وهى من عوالى المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوماً وأنزل يوماً ، فإذا نزلت جئته بحبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك » .. الحديث ^(٢) ونفهم منه أن بعض الصحابة كان يتغيب عن مجالس العلم جريا وراء متطلبات الحياة أو للغزو أو للمرض أو غير ذلك ، فإذا نزل القرآن في هذه الحالة فلا يدرى مقدمه ومؤخره ، وإن علم ذلك وقد كتبه على ما كان أولاً ترك تغييره على حسب ما استقر عليه آخرأ اعتماداً على حفظه ، فلما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى واحتيج إلى جمع القرآن بين دفتين على ما انتهى إليه الأمر بعد العرضة الثانية ، جمعه الصحابة على هذا ، وأجمعوا على هذا الترتيب .

٢ — وأما حديث حذيفة السابق . وحديث معاذ الآتى : وهو مارواه الإمام مسلم وغيره عن جابر أن معاذاً صلى بالناس العشاء الآخرة وافتتح البقرة وطول بأصحابه -

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ص ٢٤ ، ٢٥ من الجزء الأول - وانظر مقدمة كتاب المباني

ص ٣٢ . (٢) صحيح البخارى (١ - ٣٣) .

وفيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقبل على معاذ فقال « أفأتان أنت؟ اقرأ بكذا وقرأ بكذا . قال سفيان : فقلت لعمر و إن أبا الزبير حدثنا عن جابر أنه قال : اقرأ والشمس وضحاها ، والضحى ، والليل إذا يغشى وسبح اسم ربك الأعلى . فقال عمرو : نحو هذا » وفي رواية عنه أيضاً « إذا أمت الناس فاقرأ بالشمس وضحاها وسبح اسم ربك الأعلى وقرأ باسم ربك والليل إذا يغشى » متفق عليه^(١) .

فإن حديث حذيفة يقال فيه إن سورة النساء كانت في ذلك الوقت مقدمة على آل عمران ، ثم حصل الترتيب بعد ذلك بالتوقيف ، وأن الترتيب في الصلاة ليس بواجب ، وفعله صلى الله عليه وسلم كذلك لبيان الجواز^(٢) .

وحديث جابر كان في مقام التعليم ، فالنبي صلى الله عليه وسلم يعلم معاذ السور التي يقرأ بها تخفيفاً على الناس ما دام المأمومون يتضررون من التطويل ، فالسور المذكورة هي على سبيل التمثيل وبيان القدر المناسب في القراءة للصلاة . يدل على ذلك حديث مسلم وأحمد عن جابر بن سمرة (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الفجر بقّ القرآن المجيد ونحوها)^(٣) . وحديث أحمد الذي صححه الهيثمي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ (صل بالشمس وضحاها ونحوها من السور)^(٤) .

ثم إن الحادثة واحدة بدليل اتحاد السائل والراوى وبيان السبب ، ولا يعقل تكرار السؤال في الحادثة الواحدة . وأيضاً فإن الواو كما قال النحويون لا تقتضى ترتيباً .

٣ - ومن الأدلة التي تثبت أن الترتيب بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم مارواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وأحمد وغيرهم عن « عبد الله

(١) صحيح مسلم (٤ - ١٨١ : ١٨٣) ، وسنن الذئبى (١ - ١٣٣ ، ١٥٥) ، ونيل الأوطار

(٢ - ٢٤٢) . (٢) التبيين في آداب حملة القرآن ص (١١٦ ، ١١٧) ، والإتقان (١ - ٦٣) .

(٣) نيل الأوطار (٢ - ٢٣٩) . (٤) مجمع الزوائد (٢ - ١١٨) .

ابن عمر و قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ القرآن في شهر ، قلت إني أجد قوة ، حتى قال : فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك «^(١) . وكيف يحتم القرآن في هذه المدة وهو غير مرتب ؟ وقد عرفوا ترتيبه من ملازمتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وقراءتهم عليه وأخذهم عنه .

٤ - ومن هذه الأدلة أيضاً حديث تحزيب القرآن السابق - وقد حسنه الحافظ ابن كثير^(٢) .

٥ - ولترتيب السور في المصحف أسباب نستأنس بها على أنه توقيفي : (أحدها) بحسب الحروف : كما في الحواميم . (وثانيها) لموافقة آخر السورة لأول لاحقها كآخر الضحى وأول الشرح . (وثالثها) للوزن في اللفظ كآخر تبت وأول الإخلاص . (ورابعها) لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى كالزلزلة والعاديات^(٣) .

٦ - ومما يستأنس به أيضاً كون الحواميم رتبت ولواء وكذا الطواسين ولم ترتب المسبجات تباعاً ، بل فصل بينها بالمجادلة والمتحنة والمنافقون وأفردت الإسراء في النصف الأول . وفصل بين الشعراء والقصص وهما يبدآن بطسم بطس النمل مع أنها أقصر منهما - ولو كان اجتهادياً لذكرت المسبجات ولواء وأخرت طس عن القصص . أما وأنه قد حصل الفصل بين المتماثلات والمتقاربات من السور مع عدم التناسب في الطول والقصر ، فهذا يدل على أن الترتيب توقيفي^(٤) .

٧ - ويبقى علينا الكلام في حديث ابن عباس في اقتران براءة والأنفال :

فقد استدلل ابن كثير في فضائل القرآن والبيهقي والسيوطي وغيرهم بهذا الحديث على أن ترتيب سور القرآن ثابت بالتوقيف إلا الأنفال وبراءة . حتى لقد قال القرطبي إن سور القرآن انتظمت ببيان منه صلى الله عليه وسلم ، وبراءة ضمت إلى الأنفال من

(١) البخارى (٦ - ٢٤٣) .

(٢) فضائل القرآن ص ٢٦ .

(٣) البرهان (١ - ٢٦٠) .

(٤) الإقتان (١ - ٦٣) .

غير عهد منه « لما عاجله من الحمام قبل تبينه ذلك ، وكانتا تدعيان القرينتين ، فوجب أن تجمعا وتضم إحداهما إلى الأخرى للوصف الذى لزمهما من الاقتران ورسول الله صلى الله عليه وسلم حتى » (١) .

وهذا غير مسلم ؛ إذ كيف ثبت في المصحف أمراً قائماً على الظن ومن عثمان وحده؟ قال الخطيب في الكفاية « لا يقبل خبر الواحد في منافاة حكم العقل وحكم القرآن الثابت بالحكم والسنة المعلومة والفعل الجارى مجرى السنة وكل دليل مقطوع به » (٢) .
وقوله « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مما يأتى عليه الزمان » .. إلخ يدل فى الجملة على التوقيف فى القرآن .

وقوله « فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها » بعيد؛ إذ الأنفال نزلت فى السنة الثانية عقب بدر والتوبة نزلت فى أواخر التاسعة بعد تبوك وبعد خروج أبى بكر للحج على رأس المسلمين . فكيف يعقل أن يظل الرسول زهاء خمسة عشر شهراً ولا يبين للناس أنها منها أو غيرها؟ إنه بذلك يكون قد تأخر عن البيان فى وقت الحاجة إليه ، بل مات قبل البيان ، وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك . ثم إن إطلاق الاسم على كل منهما واختلافه فيهما مما يعين أن هذه غير تلك وقد سعى صلى الله عليه وسلم كلا منهما (٣) .

أما قوله « فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطرأً بسم الله الرحمن الرحيم » فإن البسمة لا تخضع لهوى الكتابة إثباتاً وحذفاً . أخرج أبو داود والحاكم وابن حبان وصحاحه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم ختم السورة حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم » وفى رواية « فإذا نزلت بسم الله الرحمن الرحيم علموا أن السورة قد انقضت » قال الحافظ أبو شامة هذا حديث حسن (٤) ، وإنما لم تذكر

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨-٦٣) . (٢) عن الفتح الربانى (١٨-١٥٥) .

(٣) روح المعانى (١٠-٤٠ ، ٤١) ، والإتقان (١-٦٥) .

(٤) فتح البارى (١٠-٤١٨) ونظم الدرر (٢-٣٨٤) .

في أول براءة « ليعلم أنه يخص من يشاء وما يشاء بما يشاء ، ويفرد من يشاء وما يشاء بما يشاء . ليس لصنعه سبب وليس له في أفعاله غرض ولا أرب ، واتضح للكافة أن هذه الآية أثبتت في الكتاب لأنها منزلة وبالأمر هنالك محصلة »^(١) . وأما ما قاله المفسرون في أسباب عدم ذكرها هنا فهو التماس للحكمة .

هذا . . . وقد قام الإجماع على أن سورة الأنفال سورة برأسها غير سورة التوبة ولذا قال الزركشي « إن سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة بإجماع أهل الحل والعقد » وقال السيوطي « أما سوره فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتد به »^(٢) .

ثم إن السؤال كان عن اقترانها وترك البسملة وجعل السورتين في محل سورة واحدة ، وكان الجواب مطابقا للسؤال ، لم يتعرض لترتيب السورتين . ولو جوزنا في بعض السور ألا يكون ترتيبها من الله لجوزنا ذلك في سائر السور وتجويزه يؤدي إلى قول الإمامية من أن القرآن محرف ، وذلك يخرج عن كونه حجة . فالصحيح أن وضع السورة هذه بعد تلك بوحى من الله تعالى وأن حذف البسملة كذلك بوحى منه جل شأنه . (وبعد) فقد كان هذا الرد منزلا على صحة الرواية مجازاة لبعض المحدثين كابن كثير الذي قال : إسناده جيد قوى^(٣) - فهل الأمر كما قالوا ؟ إن لنا في سند الحديث جولة أخرى .

روى الترمذى الحديث وقال : لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي عن ابن عباس ، وحسنه^(٤) - قال الذهبي : عوف الأعرابي : قيل كان يتشيع وقد وثقه جماعة وجرحه جماعة وكان داود بن أبي هند يضربه ويقول : ويلك يا قدرى - وقال بندار : والله لقد كان عوف قدريا رافضيا شيطانا^(٥) . وقال مسلم في مقدمة صحيحه : وإذا وازنت بينه وبين الأقران رأيت البون بينهم بعيدا في كمال الفضل وصحة النقل^(٦) .

(١) لطائف الإشارات (٣-٥) . (٢) البرهان (١-٢٥٠) والإنتان (١-٦٤ ، ٦٥) .
(٣) فضائل القرآن ص (٢٤) . (٤) تحفة الأحوذى (٨-٤٨٠) .
(٥) ميزان الاعتدال (٢-٣٠٨ ، ٣٠٩) . (٦) صحيح مسلم (١-٥٤) .

وأما يزيد فقد اختلف فيه : هل هو ابن هرمز أو غيره ؟ وقد ذكره البخارى فى كتاب الضعفاء باسم يزيد الفارسى لاشتباهه فيه - وحيث إنه قد انفرد بهذا الحديث فلا يحتج به فى شأن القرآن الذى يطلب فيه التواتر^(١) .

وقال الذهبى : قال فيه النسائى وغيره متروك . وقال الدارقطنى وغيره : ضعيف .
وقال أحمد : كان منكر الحديث^(٢) .

وإذا كان متن الحديث وسنده بهذه المكانة من الضعف ، ولم يرتضه إلا القليل الذين قوموه ولم يخرجوه عن أقل درجات القبول ، فكيف تقبله فى أمر القرآن الذى هو فى أعلى درجات الصحة نقلا ونظما وترتبا ؟

إن القرآن الكريم كله آية آية وسورة سورة مرتب من الله تعالى ، وقد بلغه عنه رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم - وصدق الله العظيم « لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .. « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » « بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ » .

(١) الفتح الربانى (١٨ - ١٥٤ ، ١٥٦) . (٢) ميزان الاعتدال (٣ - ٣٠٨) .

الفصل الثاني

رسم القرآن الكريم وكتابته

في المختار: الرسم: الأثر، ورسم على كذا وكذا أى كتب وبابه نصر. وفي القاموس: الرسم العلامة، وثوب مرسم مخطط. وقال الزنجشري: ومن المجاز: أدركتم من الدين رسماً داتراً، والمكرم عفت رسومها، وانمحت رقومها، وأنا أرتسم مراسمك لا أتخطاها، ومنه ارتسم إذا دعا، كأنه أخذ بما رسم الله له من الالتجاء إليه^(١).

والمراد من الرسم: تصوير الكلمات بحروف الهجاء بتقدير الابتداء بها والوقف عليها. والقرآن ما كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحف متفرقة، ثم جمع هذه الصحف الخليفة الأول، إلى أن كان عهد الخليفة الثالث حيث جمع القرآن في مصحف واحد خال من النقط والشكل - قال مكى بن أبى طالب «هذه القراءات كلها التي يقرأ بها الناس اليوم، وصحت روايتها عن الأئمة إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووافق اللفظ بها خط المصحف، مصحف عثمان الذي أجمع الصحابة فمن بعدهم عليه، واطرح ما سواه مما يخالف خطه، فقرأى بذلك لموافقة الخط، لا يخرج شيء منها عن خط المصاحف التي نسخها عثمان - رضى الله عنه - وبعث بها إلى الأمصار وجمع المسلمين عليها، ومنع من القراءة بما يخالف خطها، وساعده على ذلك زهاء اثني عشر ألفاً من الصحابة والتابعين. واتبعه على ذلك جماعة من المسلمين بعده، وصارت القراءة عند جميع العلماء بما يخالفه بدعة وخطأ، وإن صحت ورويت. وكان المصحف قد كتب على لغة قريش على حرف واحد، ليقول الاختلاف بين المسلمين في القرآن، ولا نقط ولا ضبط، فاحتمل التأويل لذلك»^(٢).

(١) مختار الصحاح ص (٢٦٤) - والقاموس المحيط (٤-١٢٠)، وأساس البلاغة ص (٣٣٩، ٣٤٠)

بتصرف. (٢) الإبانة عن معاني القراءات ص (٢، ٣).

ويجدر بنا قبل أن ندخل في التفاصيل أن نعرف شيئاً عن : الكتابة عند العرب .

١ - الكتابة عند العرب قبل الإسلام وبعده :

قال ابن العربي « لكل أمة حروف مصورة بالقلم موضوعة على الموافقة لما في نفوسهم من الكلم . . . وذلك كله مما علم الله لآدم عليه السلام حسياً جاء في القرآن في قوله (وعلم آدم الأسماء كلها) . . . ثم توارثت ذلك ذريته خلفاً بعد سلف وتناقلوه قوماً عن قوم . حتى جاء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وتعلم العربية من جبرته جرهم وزوجه فيهم واستقر بالحرم ، فنزل عليه جبريل فعلمه العربية غضة طرية ، وألقاها إليه صحيحة فصيحة سوية ، واستطرت على الأعقاب في الأحقاب إلى أن وصلت إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فشرفت وشرفت بالقرآن العظيم ، وأوتى جوامع الكلام ، وظهرت حكمته وحكمه ، وأشرق على الآفاق فهمه وعامه - والحمد لله » (١) .

ويضعف ابن العربي بتمية الروايات وهي التي رواها ابن فارس في كتاب فقه اللغة وابن أشتة في كتاب المصاحف عن كعب الأحمار أن آدم أول من وضع الكتب كلها العربي والسرياني قبل موته بثلاثمائة سنة ، كتبها في طين وطبخه ، فلما أصاب الأرض الغرق أصاب كل قوم كتبهم فكشبهوه ، فكان إسماعيل أصاب كتاب العرب (٢) . ويقول ابن العربي « وهذه كلها روايات ضعيفة ليس لها أصل يعتمد عليه فيها » (٣) .

ولكن كلمة المؤرخين تكاد تتفق على أن قريشاً في مكة أخذت الخط عن طريق حرب بن أمية بن عبد شمس لكنهم اختلفوا فيمن أخذ عنه حرب ، فرواية الداني تعين

(١) أحكام القرآن (٤ - ١٩٤٥) . (٢) البرهان (١ - ٣٧٧) ، والإتقان (٢ - ١٦٦) .

(٣) أحكام القرآن (٤ - ١٩٤٦) .

أنه عبد الله بن جدعان ، ورواية الكلبي تقول إنه بشر بن عبد الملك ، ورواية ابن أبي داود عن الشعبي قال « سألت المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا : من أهل الخيرة ، وسألنا أهل الخيرة من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا من أهل الأنبار » وعنده أيضاً أن أهل الأنبار علموا بشر بن عبد الملك الخط ، فخرج إلى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية ، وقال أيضاً إن بشرًا لما تزوج الصهباء علم الخط سفيان بن حرب . وقال عمر بن الخطاب ومن بمكة من قریش تعلموا الكتاب من حرب بن أمية^(١) .

ولما جاء الإسلام حارب أمية العرب ورفع من شأن الكتابة ، اقرأ قول الله تعالى « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » ومن أروع تعظيم الكتابة أن يقسم الله بالقلم وما يسطرون فيقول « ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون » - وهذا نبي الله صلى الله عليه وسلم يهيء لأصحابه الوسائل لتعلم الكتابة ، ويتخذ منهم كتاباً بالوحى قبل الهجرة وبعدها . ويروى الأستاذ أحمد أمين نقلاً عن البلاذري أن بعض اليهود كان قد تعلم الخط العربى قبل أن يدخل الإسلام للمدينة، وجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون وكانوا أحد عشر ، والذين كانوا يكتبون بمكة عند ظهور الإسلام سبعة عشر^(٢) .

وقد أخذت الكتابة تنمو بين المسلمين في المدينة ، نظراً لما كان من حب النبي صلى الله عليه وسلم إلى نشرها بين أصحابه ، وأوضح دليل على هذا أن المشركين لما أسروا يوم بدر جعل صلى الله عليه وسلم فداء من لم يكن له مال وهو يحسن الكتابة ، أن يعلم عشرة من غلمان المسلمين وكان زيد بن ثابت ممن علم^(٣) . وهذا إعلان من الرسول صلى الله عليه وسلم أن القراءة والكتابة عديلان للحرية ، وهو منتهى ما تصل إليه الهمم في تحرير أمة من رق الأمية .

(١) انظر الروايات في المصاحف (٥، ٤)، وفي الإتيقان (٢-١٦٦)، ومقدمة ابن خلدون (٤١٨).

(٢) فجر الإسلام (١٤٠، ١٤١) عن فتوح البلدان .

(٣) انظر السيرة الحلبية (١-٥٧٤) ، وفجر الإسلام (١٤٢) .

وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » فقد قال ابن الأثير : « أراد أنهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب ، فهم على جبلتهم الأولى . وقيل : الأمى الذى لا يكتب »^(١) . إذن فذاك إخبار عما عليه حالهم ، وهذا لا ينافى تشجيع النبي لأصحابه أن يتعلموا الكتابة ، حتى لقد أحصى بعضهم كتاب الوحي بين يديه صلى الله عليه وسلم بثلاثة وأربعين كتاباً^(٢) .

ولقد كتب القرآن كله بين يديه صلى الله عليه وسلم مفروقاً فى العصب والخاف والرقاع والأكتاف والأقتاب . روى مسلم عن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تكتبوا عنى ومن كتب عنى غير القرآن فليمحهُ^(٣) . وروى الإمام أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وصححه ابن حبان والحاكم عن ابن عباس عن عثمان قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتى عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشئ يدعو بعض من يكتب عنده ويقول : ضعوا هذا فى السورة التى يذكر فيها كذا »^(٤) .

(٢) رسم المصحف :

علمنا أن المراد من رسم المصحف هو كيفية وضع كلماته بحروف الهجاء ، وهو العمل الذى قام به عثمان رضى الله عنه .

والأصل فى الكتابة أن تكون موافقة للفظ المنطوق به من غير زيادة ولا نقص ولا تبديل حرف بحرف ، ولا يكتب شئ بصورة فى موضع وبصورة أخرى فى غيره ، ولكن خط المصحف العثمانى خالف هذا الأصل ؛ إذ ورد فيه زيادة وحذف ، وتبديل حرف بحرف ،

(١) النهاية (١-٦٨) . (٢) انظر فتح البارى (٩-١٨) ، وعمدة القارىء (٢٠-١٩) .

(٣) مسلم بشرح النووي (١٨-١٢٩) . (٤) فتح البارى (٩-١٨) ولزيادة للمعرفة

اقرأ ص (١١٢ : ١١٧) من الجزء الأول للمؤلفين .

ولم ترسم الهمزات المتماثلة موحدة ، ووصلت بعض الكلمات في موضع وفصلت في آخر وهي متماثلة ككلمة (أن) مع (لا) ، وبعض الكلمات التي ورد فيها قراءتان وكتبت على واحدة .

قال ابن درستويه : « خطان لا يقاس عليهما خط المصحف وخط تقطيع العروض » وقال أبو البقاء « ذهب جماعة من أهل اللغة إلى كتابة الكلمة على لفظها إلا في خط المصحف ؛ فإنهم اتبعوا في ذلك ما وجدوه في الإمام ، والعمل على الأول »^(١) من هذا نعلم أن الخط على ثلاثة أنواع : (١) خط يقتدى به ولا يغير وهو رسم المصاحف العثمانية . (٢) وخط جرى على إثبات ما تلفظ به وإسقاط غيره وهو خط العروض . (٣) وخط جرى على العادة المعروفة في الإملاء وهو الذي يتكلم به النحوى . ومن أجمع الكتب التي تسكمت على رسم المصحف كتاب « المنع » لأبي عمرو الداني .

(٣) قواعد رسم المصحف :

ذكر السيموطى أن قواعد الرسم تنحصر في ستة قواعد، وتسميتها بالقواعد فيه تساهل إذ أنها لا تنضبط بضابط ، بل تعرف بسرد مواضعها واحداً واحداً ، ومن هنا سماها الزركشى [اختلاف رسم الكلمات في المصحف والحكمة فيه]^(٢) . وإليك تفصيل هذه الأنواع مع ذكر أمثلتها^(٣) :

(أولاً) الحذف :

تحذف الألف من (يا) التي للنداء نحو « يا أيها الناس » . ومن (ها) التي للتنبيه نحو « ها أنتم » . ومن لفظ الجلالة ولفظ « الرحمن » و « سبحن » إلا « قل سبحان ربى » ومن كل جمع تصحيح لمذكر أو مؤنث نحو « سماعون » إلا « طاغون » في الذاريات

(١) البرهان (١ - ٣٧٦) . (٢) انظر البرهان (١ - ٣٨٠) ، والإتقان (٢ - ١٦٧) .

(٣) انظر في هذه الأنواع البرهان (١ - ٣٨١ : ٤٣١) ، والإتقان (٢ - ١٦٧ : ١٧٠) .

والطور ونحوها من المستثنيات ومن كل علم زاد على ثلاثة كإبراهيم وصالح إلا ما استثنى
ومن كل جمع على وزن مفاعل أو شبهه كمسجد ويتامى. ومن كل عدد كثلث وثلاثة.
وهناك حذف لا يرتبط بقاعدة كحذف الألف من «مالك الملك» والياء من «إبراهيم»
في سورة البقرة.

وتحذف الواو في «سندع الزبانية» و «ويمح الله الباطل» و «ويدع الإنسان
بالشر» و «يوم يدع الداع».

وتحذف الياء في نحو «فارهبون، فاعبدون، وأطيعون، فأرسلون» ونحوها،
إلا ما استثنى. وتحذف من كل منقوص منون رفعاً وجراً، نحو «غير باغ ولا عاد»
وإذا وقعت ضميراً لمتكلم نحو «فلا تخشوا الناس واخشون» - إلا ما استثنى.

(ثانياً) الزيادة :

تزداد الألف بعد الواو في آخر كل اسم مجموع أو في حكم المجموع : نحو «ملاقوا
رهبهم» و «بنوا إسرائيل» و «أولوا الألباب». وبعد الهمزة المرسومة واواً نحو
«فإن فاؤا» و «تالله تفتؤا». وبعد الميم في «مائة ومائتين» حيث وقعا. وفي قوله
تعالى «الظنوننا» و «الرسولا» و «السبيلا». وبعد اللام في «لا أذبحنه» و «ولا
أوضعوا». إلى غير ذلك.

وتزداد الواو في نحو «أولى. أولوا. أولات» ونحو «أولئك، أولائكم» ونحو
«سأوريكم».

وتزداد الياء في نحو «والسما بنيناها بأبيد، أفاين مات، من نبأى المرسلين» إلى
غير ذلك من الأمثلة.

(ثالثاً) الهمز :

الأصل فيها أن ترسم حسب حركة الحرف قبلها، نحو «البأساء، ائذن لى، أوتمن»

هذا إذا كانت ساكنة ، فإن تحركت وكانت في الأول أو اتصل بها حرف زائد رسمت ألفاً ، نحو « أيوب ، أولوا ، إذا ، سأصرف ، سأنزل ، فبأى » وإن تحركت وكانت وسطا كتبت بحرف مجانس لحركة الحرف نفسه ، نحو « سأل ، سئل ، نقرؤه » - وإن كانت طرفاً كتبت بحرف مجانس لحركة السابق ، نحو « سبأ ، شاطيء ، لؤلؤ » - إلا ما استثنى في السكل ، نحو « يتفییؤا ، أتوكؤوا ، ما يعبؤا » ونحوها .

رابعاً) البدل :

تكتب الألف واواً للتفخيم في « الصلوة ، الزكوة ، الحيوة ، الربوا » حيث لم تنصف . وفي « بالغدوة » في الأنعام والكهف ، « كشكوة » في النور ، « النجوة » في غافر ، « ومنوة » في النجم . إلا ما استثنى من القاعدة . وتقبض التاء حيث وقعت اسماً أو صفة ، وتمد حيث يكون مقتضاها فعلاً وأثراً ظاهراً - من ذلك « الرحمة » تمد التاء فيها في البقرة (٢١٨) والأعراف (٥٦) وهود (٧٣) ومريم (٢) والروم (٥٠) والزخرف (٣٢) أول الآية وآخرها . وتقبض في غير هذه السبعة . ومن ذلك أيضاً « السنة » مقبوضة إلا في خمسة مواضع هي فيها بمعنى الإهلاك والانتقام ، في الأنفال (٣٨) وفي فاطر (٤٣) تسكرت ثلاث مرات ، وفي غافر (٨٥) . وغير ذلك من الأمثلة .

خامساً) الفصل والوصل :

من أمثلته « إنما » بالكسر ، كله موصول لإقوله تعالى « إن ماتوعدون لآت » . وبالفتح كله موصول إلا « وأن ما يدعون من دونه » في الحج ولقمان . و (كلما) كله موصول إلا في ثلاثة : في النساء (٩١) وإبراهيم (٣٤) والمؤمنون (٤٤) . و (مال) في أربعة مواضع مفصولة ، النساء (٧٨) والكهف (٤٩) والفرقان (٧) والمعارج (٣٦) . إلى غير ذلك الأمثلة .

(سادساً) مافيه قراءتان وكتب على إحداها :

ذلك أن الكلمة إذا قرئت على حرفين تكتب على رسم أحدها . من ذلك : كلمات رسمت في المصحف بلا ألف وتقرأ بالحذف والإثبات ، نحو « ملك يوم الدين ، يندعون الله ، ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام » ونحوها .

وكلمات قرئت بالجمع والإفراد وآخرها تاء ، نحو « غيابت الجب ، جمالت صفر ، فهم على بينت » ونحوها ، وقد رسمت بالتاء المبسوطة .

وكلمات رسمت بالصاد وتقرأ بالصاد وبالسين ، نحو « الصراط ، بصطة في الأعراف فقط ، المصيطنون ، مصيطر » .

وقد تكتب الكلمة صالحة للقراءتين ، نحو « فكهون » بلا ألف وهي قراءة ، وعلى قراءتها هي محذوفة في الرسم لأنه جمع تصحيح .

أما القراءات المختلفة المشهورة بزيادة لا يحتملها الرسم ، نحو « أوصى ، ووصى ، تجرى تحتها ، تجرى من تحتها ، سارعوا ، وسارعوا » فكتابته على نحو قراءته ، وكل ذلك موجود في مصاحف الإمام .

فائدة :

كتبت فواتح السور على صورة الحروف أنفسها ؛ اكتفاء بشهرتها ، وقطعت (حمّ عسق) دون (المصّ) و (كهيمعص) طردا للأولى بأخواتها الستة .

(٤) فوائد التزام الرسم العثماني :

لرسم العثماني فوائد متعددة أهمها^(١) :

(١) حمل الناس على أخذ القرآن ممن عرف رسم المصحف ، وألا يكتفى بأخذه

(١) انظر وتأمل قول الأستاذ أحمد أمين « وحتى هؤلاء الذين كانوا يكتبون الوحي لم يكونوا مهرة في الكتابة ، ولا كتابتهم سائرة على نمط واحد ، ولا خاضعة لقوانين الإملاء . . . وسبب ذلك - كما يعمله ابن خلدون - ضعفهم في صناعة الخط ، وأنهم لم يبلغوا حد الإجازة » (تجرب الإسلام ص ١٤٢) . وإن ملاحظة بعض فوائد الرسم تدفع هذا القول .

من المصحف وحده ؛ لما يترتب عليه من اللبس وعدم القراءة بالقراءة الصحيحة ، وبهذا لا يوجد قارئ للقرآن إلا له شيخ أخذ عنه ؛ زيادة في التثبت من ألفاظ القرآن وكيفيات النطق بها ، فوق ما فيه من اتصال سند قراءة القارئ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلك خاصة من خصائص هذه الأمة الإسلامية ، امتازت بها على سائر الأمم ، وأما اليهود فلا يقربون في كتبهم من موسى قربنا من النبي صلى الله عليه وسلم ، فينبههم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصباً ، وأما النصارى فليس عندهم منقول إلا تحريم الطلاق ، وأكثر المنقول عن اليهود والنصارى يجهل في سنده كذاب أو مجهول العين فوق ما فيه من إرسال وإعضال^(١) .

(ب) الدلالة على تنوع القراءات في الكلمة الواحدة ، بقدر ما يحتمله رسم تلك الكلمة ، فإن كانت الكلمة الواحدة تختلف صورتها باختلاف القراءة رسمت في بعض المصاحف على صورة تخالف الأخرى ، ومثال الأولى « فكهمين » فإن رسمها بحذف الألف يجعلها تنطبق على القراءة بالحذف والإثبات ، ومثال الثاني « سارعوا ، وسارعوا » ففي بعض المصاحف يثبت الواو وفي بعضها يحذفها .

قال أبو عمرو الداني « فإن سأل سائل عن السبب الموجب لاختلاف مرسوم هذه الحروف الزوائد في المصاحف ؟ قلت : السبب في ذلك عندنا أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، لما جمع القرآن في المصاحف ، ونسخها على صورة واحدة وآثر في رسمها لغة قريش دون غيرها مما لا يصح ولا يثبت نظراً للأمة واحتياطاً على أهل اللغة ، وثبت عنده أن هذه الحروف من عند الله عز وجل كذلك منزلة ، ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة ، وعلم أن جمعها في مصحف واحد على تلك الحال غير متمكن إلا بإعادة الكلمة مرتين ، وفي رسم ذلك كذلك من التخليط والتغيير للمرسوم ما لا يخفاء به ،

(١) لزيادة المعرفة انظر الفصل في اللل والأهواء والنحل (٢ - ٨١ : ٨٥) .

فرقها في المصاحف لذلك ، فجاءت مثبتة في بعضها ومحذوفة في بعضها ، لكي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله عز وجل ، وعلى ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهذا سبب اختلاف مرسومها في مصاحف أهل الأمصار»^(١) .

(ج) إفادة معان مختلفة بصورة تكاد تكون واضحة ، « فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا » و « أمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم » فقطع الأولى في الرسم ليدل على أنها أم المنقطعة التي بمعنى بل ، ووصل الثانية للدلالة على أنها ليست كتلك .

(د) الدلالة على بعض اللغات الفصيحة ، ككتابة هاء التأنيث تاء مبسوطة دلالة على لغة طيِّء نحو « إذ قالت امرأت عمران » ، وكحذف آخر المضارع المعتل بغير جازم للدلالة على لغة هذيل ، نحو « يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه » .

(هـ) الدلالة على أصل الحركة ، ككتابة الكسرة ياء في قوله تعالى « وإيتاى ذى القربى » وكتابة الضمة واوا في قوله سبحانه « سأوريكم دار الفاسقين » - ومثل ذلك الدلالة على أصل الحرف نحو « الصلوة ، الزكوة » ليفهم أن الألف منقلبة عن واو .

(و) التنبيه على العوالم الغائب والشاهد ومراتب الوجود والمقامات ؛ إذ الخط وإنما يرسم على الأمر الحقيقي لا الوهمي . وفي رسم المصحف ما يدل على هذه المعاني الخفية الدقيقة . فمثلا قوله تعالى « لا أذبحنه » « لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولا أوضعوا خلالكم » زيدت الألف تنبيهاً على أن المؤخر أشد في الوجود من المقدم عليه في اللفظ فالذبح أشد من العذاب السابق في الآية ، والإيضاع أشد إفساداً من زيادة الخبال المتقدم في الآية . ومثلاً « وجاءو بسحر عظيم ، وجاءو أباهم ، وجاءو على قميصه ، جاءو ظمأً وزوراً » حذفت الألف من الأربعة لأن المجيء ليس على وجه الصحيح

(١) المقنع في رسم مصاحف الأمصار (١٢٣ ، ١٢٤) .

ومثلاً « والسماء بنيناها بأييد » بياءين فرقا بينها وبين جمع « يد » لأن الأيد هنا القوة ولاشك أن القوة التي بنى الله بها السمااء أحق بالشبوت في الوجود من الأيدي ، فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر في إدراك الملكوتي في الوجود ، على حد قولهم زيادة المبني تدل على زيادة المعنى .

وفي قوله « ويمحُ الله الباطل » حذفت الواو علامة على سرعة المحو وقبول الباطل له بسرعة، وقوله « سندعُ الزبانية » فيه سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوة البطش، وهو وعيد عظيم .

وفي قوله « وأن ما يدعون من دونه هو الباطل » وقع الفصل عن حرف التوكيد إذ ليس لدعوى غير الله وصل في الوجود ، ووصلها في النفي والعدم ؛ بدليل قوله تعالى عن المؤمن « إنما تدعونني إليه ليس له دعوة » فوصل في النفي وفصل في الإثبات لانفصاله عن دعوة الحق .

وقوله تعالى « لتتخذت عليه أجراً » حذفت الألف ووصلت ، لأن العمل في الجدار قد حصل في الوجود ، فلزم عليه الأجر، وانصل به حكماً بخلاف « وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذن لا اتخذوك خليلاً » إذ ليس فيه وصلة اللازم^(١) .

٥ - هل رسم المصحف توقيفي أو اصطلاحى؟

رسم المصحف غير متفق على وجوبه ، فمن العلماء من قال بجوازه ، ومنهم من منعه ، ومنهم من فصل في حكمه . وإليك تفصيل مذاهبهم :

(القائلون بالتوقيف) :

ذهب جمهور العلماء إلى أن رسم المصحف توقيفي لا يجوز مخالفته . واستدلوا على ذلك :

(١) انظر البرهان (١ - ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٧ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤١٧ ، ٤١٩) والإتقان

١ - بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان له كتبة يكتبون الوحي بين يديه ، وكتبوه هكذا وأقرهم عليه ، وإقراره صلى الله عليه وسلم أحد أنواع السنة المعلومة . ثم جاء أبو بكر ثم عثمان رضى الله عنهما وحافظا على نفس الرسم ، ومن بعدهما التابعون ومن تبعهم ولم يخالف أحد في الرسم ولم ينقل عنهم مخالفة له .

٢ - ويأجماع الأمة على فعل عثمان ، ولا ريب أن إجماع الأمة في أى عصر واجب الاتباع خاصة في العصر الأول ؛ روى ابن أبي داود والطبري وغيرها من رواية شعيب عن الزهري أن عثمان « أرسل إلى كل جند من أجناد المسلمين بمصحف وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذى أرسل به » - ومن طريق مصعب بن سعد قال « أدركت الناس متوافرين حين أحرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك ، أو قال لم ينكر ذلك منهم أحد » وقال ابن كثير إسناده صحيح ، وأخرج ابن أبي داود بسند صحيح عن علي رضى الله عنه قال « لا تقولوا في عثمان إلا خيراً فوالله ما فعل الذى فعل في المصاحف إلا عن ملامنا »^(١) . وانعقاد الإجماع على المصحف العثماني يشمل الرسم كذلك ، وهو دليل على أنه لا يجوز العدول عنه .

٣ - واستدلوا أيضاً بأقوال العلماء في التزام الرسم العثماني : فقد سئل مالك رحمه الله « هل تكتب المصحف على ما أخذته من الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ، إلا على الكتابة الأولى » قال الداني « ولا يخالف له من علماء الأمة » وسئل مالك عن الحروف في القرآن كالألف والواو والمزيدتين في الرسم لمعنى « أترى أن تغير من المصحف إذا وجدا فيه كذلك ؟ فقال : لا » - وقال الإمام أحمد رحمه الله تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في باء أو واو أو ألف أو غير ذلك » وقال البيهقي في شعب الإيمان « من كتب مصحفاً

(١) انظر المقيم (١٠) ، وفتح الباري (١٠ - ٣٩٣ ، ٣٩٥) ، وفضائل القرآن (١٣) ،

والمصاحف (١٢ ، ١٣ ، ٢٠) ، والبرهان (١ - ٢٣٦ ، ٢٣٩) .

فيبغي أن يحافظ على الهجاء التي كتبوا بها تلك المصاحف ، ولا يخالفهم فيها ، ولا يغير مما كتبوه شيئاً ؛ فإنهم أكثر علماء ، وأصدق قلباً ولساناً ، وأعظم أمانة منا ، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استندرا كما عليهم » وقال أبو عبيد « اتباع حروف المصاحف عندنا كالسنن القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعداها »^(١) .

٤ — وكما أن نظم القرآن معجز فرسه أيضاً معجز ، وكيف تهتدى العقول إلى سر زيادة الألف في (مائة) دون (فئة) ؛ وفي (سعوا) في الحج دون (سعو) في سبأ؟ وفي (وَعَتَوْا عن أمر ربهم) دون (وَعَتَوْا عتوا كبيرا) ؟ كيف تبلغ العقول إلى وجه حذف حرف في بعض الكلمات المتشابهة دون بعض؟ لو كان الرسم بالاجتهاد لما خولف فيه بين هذه المتشابهات ، إذن فكل ذلك من الأسرار الإلهية والأغراض النبوية^(٢) .

هذا . . . وقد علمنا أن للقرآن أسراراً لا تستفاد إلا بهذا الرسم ، فمن كتبه برسمه فقد آداه بأسراره ، ومن كتبه بغيره فقد آداه ناقصاً .

القائلون بالاصطلاح :

جئنا إلى هذا الرأي ابن خلدون في مقدمته^(٣) والباقلاني في الانتصار . قال الباقلاني إن الله تعالى فرض على الأمة الوصية بألفاظ القرآن ، وأما كتابته فلم يفرض على الأمة فيها شيئاً ؛ إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا بالسمع والتوقيف . وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه أن رسم القرآن وخطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص وحد محدود لا يجوز

(١) البرهان (١ - ٣٧٩ ، ٣٨٠) والمفنع (١٠ ، ٣٠) والإتقان (٢ - ١٦٧) .

(٢) كتاب الإبريز لابن المبارك ص (٦٠) بتصرف .

(٣) وعبارته « رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الإجابة ، بخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها . ثم اختلف التابعون من السلف رسمهم فيها تبركاً بما رسمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخير الخلق من بعده المتلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه ، كما يقتضى لهذا العهد خط ولي أو عالم تبركاً ويتبع رسمه خطأ أو صواباً » إلخ انظر ص ٤١٩ .

تجاوزه ، ولا في نص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه ، ولا في إجماع الأمة ما يوجب ذلك ، ولا دلت عليه القياسات الشرعية . بل السنة دلت على جواز رسمه بأي وجه سهل لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرهم برسمه ، ولم يبين لهم وجها معينا ، ولا نهى أحدا عن كتابته ، ولذلك اختلفت خطوط المصاحف ، فالخطوط إنما هي علامات ورسوم تجرى مجرى الإشارات والعقود والرموز ، فكل رسم دل على الكلمة مفيد لوجه قراءتها تجب صحته وتصويب الكاتب به على أي صورة كان . وبالجملة فكل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه ، وأنى له ذلك اه بتصرف (١) .

ونوقش هذا الرأي بما يأتي :

أولا : بأدلة الجمهور سالفة الذكر .

ثانياً : دعواه أن السنة خالية من نص يوجب ذلك ، مردود بإقرار الرسول صلى الله عليه وسلم كتاب الوحي على هذا الرسم ، ومنهم زيد بن ثابت الذي كتب المصحف لأبي بكر وعثمان ، ومنهم معاوية الذي يقول له الرسول صلى الله عليه وسلم : « ألق الدواة وحرف القلم وانصب الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم ، وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أذكرك » .

ثالثاً : دعواه اختلاف خطوط المصاحف غير مسلم له ؛ لقيام الإجماع وانعقاده على رسم المصحف العثماني ، منذ عهد الصحابة ومن بعدهم من غير تكبير من أحد منهم . ونسبته المخالفة إلى الصحابة لم تحصل ، وقد علمنا أننا أنهم رضوا عمل عثمان .

ثم نقول له : إن سائر الصحابة والتابعين وتابعيهم أجمعوا على أنه لا يجوز زيادة حرف في القرآن ولا نقصانه منه ، وما بين الدفتين كلام الله عز وجل ، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أثبت ألف « الرحمن » ولم يزد الألف في « ولا أوضعوا » وخالفت

الصحابة ، لزم أنهم تصرفوا في القرآن بالزيادة والنقص ، ولزم تطرق الشك في جميعه ،
وحيثئذ تنحل عروة الإسلام من أصله .

يقول ابن المبارك تلميذ الشيخ الدباغ « ماضيت الأمة شيئاً من الوحي ، والقرآن
بحمد الله محفوظ ألفاظاً ورسماً ، فأهل العرفان والشهود والعيان ، حفظوا ألفاظه ورسمه ،
ولم يضيعوا منها شعرة واحدة ، وأدركوا ذلك بالشهود والعيان الذي هو فوق التواتر ،
وغيرهم حفظوا ألفاظه الواصلة إليهم بالتواتر ، واختلافهم في بعض حروف الرسم لا يقدح
ولا يصير الأمة مضية ، كما لا يضر جهل العامة بالقرآن وعدم حفظهم لألفاظه » اهـ (١) .

القائلون بالتفصيل :

قالوا يحرم رسم المصحف إذا خيف الالتباس ، ويجب اتباعه بالنسبة للخاصة العارفين
به ؛ لأنه لا يخشى عليهم الالتباس ، بل يتأكد وجوبه لئلا يترك هذا الرسم رأساً
ويندرس ، فيأتي على الناس زمان يجهلون فيه كيف كتب الصحابة القرآن ؟ وهم أبر
هذه الأمة وخير من يهتدى بهديهم .

قال الزركشي « وكان هذا في الصدر الأول ، والعلم حي غض ، وأما الآن فقد
يخشى الإلباس . ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : لا تجوز كتابة المصحف
الآن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة ؛ لئلا يوقع في تغيير من الجهال ، ولكن
لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه ، لئلا يؤدي إلى دروس العلم ، وشيء أحكمته القدماء
لا تترك مراعاته لجهل الجاهلين ، ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة » (٢) . اهـ .

« ولعل أمثل الآراء في هذه المسألة هو رأى القائلين بالتمديد بالرسم العثماني ، لما فيه

(١) مناهل العرفان (١ - ٣٧٧ ، ٣٧٨) .

(٢) البرهان (١ - ٣٧٩) ولزيادة المعرفة انظر تفسير العلامة الألوسي عند تفسيره قول الله تعالى

« وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك » من سورة العنكبوت . وانظر فتح الباري
(٧ - ٣٥٢) وما بعدها .

من متابعة السلف ، والمبالغة في قداسة القرآن ، بحمايته من التغيير والتبديل في رسمه ، سواء قلنا إن هذا التقيد واجب كما صرح به بعضهم ، أو قلنا إنه مرغّب فيه ترغيباً قوياً كما يشعر به تعبير بعضهم عن حكم اتباعه بكلمة ينبغي ، كالبيهقي وغيره .

وشبهة اللبس مندفة بلزوم أخذ القرآن عن موقف - كما سبق - فإن لم يؤخذ بهذا الرأي فلا أقل من أن يؤخذ بالتفصيل الذي ذهب إليه الزركشي . ففيه حماية العامة من اللبس ، وفيه بقاء الرسم الذي كتب القرآن عليه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي عهد الصحابة من بعده ، وأما ترك هذا الرسم تركاً كلياً ، فمع ما فيه من تجهيل المسلمين بما أثر في رسم القرآن عن السلف الأولين ، فإن فيه أيضاً إضاعة لفوائد مرتبطة بهذا الرسم « اهـ ^(١) .

٦ - بعض الشبه التي أثيرت حول رسم القرآن الكريم :

من دأب المستشرقين والمبشرين أن يتلمسوا المطاعن في القرآن ، بكل ما أوتوا من قوة ، حقداً وحسداً ؛ ولكن الله تعالى قيض لكتابه من العلماء من يدفع عنه هذه الشبه الزائفة ^(٢) . وإليك بعض هذه الشبه :

(الشبهة الأولى) :

قال جولدمزهر « والنص المتلقى بالقبول - القراءة المشهورة - الذي هو لذاته غير موحد في جزئياته يرجع إلى الكتابة ، التي تمت بعناية الخليفة الثالث عثمان ؛ دفعا للخطر المائل من رواية كلام الله في مختلف الدوائر على صور متغايرة ، وتداوله في فروض العبادة على نسق غير متفق ، فهي إذن رغبة في التوحيد ذات حظ من القبول » ^(٣)

(١) البيان في مباحث من علوم القرآن (٢٦٠) .

(٢) راجع ما كتبناه عن بعضها ، في الجزء الأول ص (١٤١ : ١٥٣) وفي الفصل الأول من هذا

الكتاب . (٣) مذاهب التفسير الإسلامي (٦) .

ثم يقول « وفي المواضع التي تبدو فيها مفارقات نحوية ، اجترأ بعضهم على دعوى أن ما بقى من ذلك في نص الكتاب المنزل المعترف به ، يجب النظر إليه على أنه خطأ كتابي وقع فيه ناسخ غير يقظ »^(١) ثم يقول « وباطراد تنظيم العادات المتصلة اتصالا وثيقا بالحياة الدينية ، برزت الحاجة إلى إقامة حاجز حسب الإمكان في وجه الحرية السائدة في تناول نص الوحي الإلهي ، فلم يعد ممكنا عمليا بعد أن يقضى على هذه الحرية بالكلية ، ويوحد نص القرآن توحيداً كاملاً »^(٢) ثم يقول « والمتكلمون على وجه الخصوص هم الذين لم يرتضوا الحد من حريتهم تجاه النص القرآني المأثور ، وهم يقولون : إنه يسوغ إعمال الرأي والاجتهاد في إثبات قراءة وأوجه وأحرف ، إذا كانت تلك الأوجه صواباً في العربية ، وإن لم يثبت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ بها »^(٣) .

ويروى عن الطبري أن الزبير سأل أبان بن عثمان عن الآية ﴿ لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة ﴾ فأجابه بأن هذا من خطأ الكاتب . وعن عروة أنه سأل خالته السيدة عائشة عن نفس الآية ، فقالت : « يابن أختي : هذا من عمل الكتاب أخطأوا في الكتاب »^(٤) .

(ونقول) إن هذا المستشرق شأنه شأن المستشرقين عموماً ، هدفهم طعن المسلمين في أقدس مقدساتهم ؛ خدمة لأرباب الديانات الأخرى ، ولذا فقد دأبوا على البحث والتنقيب في بطون الكتب وأغوارها لهذا الغرض الدنيء ، سواء كانت أقوالاً حكاهها أهلها بصيغة التمريض أو ردها بالفعل ، ولكن هؤلاء حكوها على أنها مذهب صاحب الكتاب أو من حكى عنه ، وبذلك فقدوا شرطاً جوهرياً من شروط البحث العلمي . ثم إنهم لا يترددون في الاستدلال على مدعاهم بأسانيد ضعيفة ، مستقاة من خبايا كتب التاريخ واللغة التي تحكى الغث والسمين ، وقد يكون أهلها من غير أهل الفن . وأيضاً فإنهم يبترون النص بتراً ، ويقطعون عن ظروفه وملابساته ، حتى يتفق مع مبدئهم الذي

(١) ص (٤٦) . (٢) ص (٥٤) . (٣) ص (٦٢) . (٤) ص (٤٦ ، ٤٧) .

يسوقون النص لأجله ، وبذلك يشوهون الحقائق ويطمسون معالم الدين. خذ مثلاً قوله إن الكتاب أخطأوا في موضع الآية (١٧) من سورة الفتح حيث جعلوها (٦١) من سورة النور، وهى فى مكانها الحالى قلقة لاتناسب بينها وبين ما قبلها وما بعدها، ثم يستشهد بكلام القاضى البيضاوى فى هذا الموضع - وإليك نص قول القاضى البيضاوى [٦٣/٢] :

« نفى لما كانوا يتخرجون من مؤاكلة الأصحاء حذراً من استقذارهم أو أكلهم من بيت من يدفع إليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه إذا خرج إلى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة أن لا يكون ذلك من طيب قلب أو من إجابة من يدعوهم إلى بيوت آبائهم وأولادهم وأقاربهم فيطعمونهم كراهة أن يكونوا كلاً عليهم وقيل نفى للخروج عنهم فى القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله ولا ما بعده » ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ﴾ .

بل إن المستشرق (سير وليم موير) يقول : إن المسلمين حافظوا على القرآن بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، واتبعوا فى ذلك أدق الطرق لحفظ التراث، فجاء كما كان فى حياته ثم يتساءل « أهذا النص هو صورة مضبوطة لما جمع زيد بعد الاتفاق على إزالة ما كان فى التلاوة من أوجه الاختلاف قليلة العدد قليلة الخطر؟ وكل ما لدينا مقنع تمام الإقناع بأن الأمر كذلك ، فليس فى الأنباء القديمة أو الجديرة بالتصديق ، ما يلقى على عثمان أية شبهة بأنه قصد إلى تحريف القرآن » ثم يقول إن القرآن روى فيه الدقة التامة على مختلف مرات الجمع ، وإن النتيجة التى نستطيع الاطمئنان إليها هى أن المصحف لم يكن دقيقاً لحسب ، بل كان كاملاً كما تدل الوقائع، ولم يغيب عن جامعيه منه شىء، وكل آية منه مضبوطة كما تلاها محمد صلى الله عليه وسلم^(١) .

والفضل ما شهدت به الأعداء .

(١) حياة محمد (٣١ : ٣٨) بتصريف وتلخيص . وانظر الموضوع بتمامه فى رسالة (المناسبات فى ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره) للمؤلف . وهى مودعة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر .

ثم نذكر السبب الذي من أجله اختلفت القراءة فيما يحتمله خط المصحف ، و نترك
مكي بن أبي طالب يحكى السبب . يقول رحمه الله « إن الصحابة رضى الله عنهم - كان
قد تعارف بينهم من عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - ترك الإنكار على من خالفت قراءته
قراءة الآخر لحديث النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى ومسلم وغيرها بعدة روايات
واللفظ لمسلم (٦ - ١٠١) أن ابن عباس رضى الله عنهما حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال « أقرأنى جبريل عليه السلام على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده فيزيده حتى انتهى
إلى سبعة أحرف . قال ابن شهاب : بلغنى أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي
يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام » وفي حديث أبي « ... ثم جاءه الثالثة فقال
إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته
وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم جاءه الرابعة فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على
سبعة أحرف فأبما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا » فكانوا يقرأون بما تعلموا ، ولا يفكر
أحد على أحد قراءته ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد وجه بعضهم إلى البلدان ؛
ليعلموا الناس القرآن والدين ، ولما مات النبي صلى الله عليه وسلم خرج جماعة من الصحابة
في أيام أبي بكر وعمر ، إلى ما افتتح من الأمصار ، ليعلموا الناس القرآن والدين ، فعلم
كل واحد منهم أهل مصره على ما كان يقرأ على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فاختلقت
قراءة أهل الأمصار على نحو ما اختلفت قراءة الصحابة الذين علموهم . فلما كتب عثمان
المصاحف وجهها إلى الأمصار وحملهم على ما فيها ، وأمرهم بتك ما خالفها ، وقرأ أهل
كل مصر مصحفهم الذى وجه إليهم على ما كانوا يقرأون قبل وصول المصحف إليهم ،
مما يوافق خط المصحف وتركوا من قراءتهم التي كانوا عليها مما يخالف خط المصحف :
فاختلفت قراءة أهل الأمصار لذلك بما لا يخالف الخط ، وسقط من قراءتهم كلهم ما يخالف
الخط ... » (١)

(١) الإبانة عن معانى القراءات (١٤ : ١٦) بتصرف .

ثم يذكر أن جميع ما روى من القراءات على ثلاثة أقسام :

١ — قسم يقرأ به وهو ما نقله الثقات إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكون له وجه في العربية ، ويكون موافقاً لرسم المصحف .

٢ — وقسم لا يقرأ به ولكنّه يقبل : وهو ما نقله الثقات وله وجه في العربية ، ولكنّه يخالف خط المصحف ؛ والعلّة في عدم القراءة به أنه نقل بأخبار الآحاد ، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد ، وأيضاً لا يقطع بصحته وما لم يقطع بصحته لا تجوز القراءة به ، ولا يكفر من جحدّه .

٣ — وقسم لا يقبل وإن وافق خط المصحف : وهو ما نقله غير ثقة ، أو لم يكن له وجه في العربية (١) .

ثم يقول في موضع آخر « ... وهذا الاختلاف الذي يخالف خط المصحف وما جاء منه ، مما هو زيادة على خط المصحف ، أو نقصان من خط المصحف ، وتبديل لخط المصحف - وذلك كثير جداً - : هو الذي سمع حذيفة في المغازي . . . وهو الذي حدا عثمان على جمع الناس على مصحف واحد ؛ ليزول ذلك الاختلاف فافهمه .

قال أبو محمد : فهذا لا يجوز اليوم لأحد أن يقرأ به ؛ لأنه إنما نقل إلينا بخبر الواحد عن الواحد ، ولا يقطع على صحة ذلك ، ولا على غيبه ، وهو مخالف لخط المصحف الذي عليه الإجماع ، ويقطع على صحته وعلى غيبه ، فخط المصحف أولى ؛ لأنه يقين والخبر غير يقين ، فلا يحسن أن ينتقل عن اليقين إلى غير يقين . . . وإنما قرىء بهذه الحروف التي تخالف المصحف قبل جمع عثمان - رضى الله عنه - الناس على المصحف ، فبقى ذلك محفوظاً في النقل غير معمول به عند الأكثر لخالفته للخط المجمع عليه » (٢) .

إذن فما ينقله المستشرقون لا يخرج عن كونه من القسم الثاني - وقد عرفنا ما فيه .

(١) نفس المرجع (١٨ ، ١٩) بتصرف .

(٢) نفس المرجع (٧٩ ، ٨٠) وانظر أيضاً النشر في القراءات العشر (١٥ ، ١٤) من الجزء الأول -

وكثير منه يدخل في دائرة القسم الثالث ، وهو إن وجد في غير ملة الإسلام ، فإن هيزة نقل القرآن أنه ينقل عن طريق الثقة عن الثقة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .
ثم نقول لجولدزيهر : ما مرادك من قولك : إن النص غير الموحد في ذاته يرجع إلى الخط ؟ أهو تغاير القراءتين في اللفظ مع اتفاق المعنى ؟ أم مع اختلاف المعنى أيضاً والمعنى صحيح فيهما ؟ أما الأول فقد ورد في السبعة ومثاله « اهدنا الصراط » بالصاد والسين .
وأما الثاني فقد ورد كذلك في السبعة ومثاله « فأزلهما الشيطان عنها » قرىء بالألف بعد الزاى وبجذفها . ولكن على أية حال فإن المعنى عليهما لا يتضارب ويمكن اجتماعهما ؛ إذ الوقوع في الزلة ملزوم والتنحى عن الجنة لازم له - أما إن كان مراده اختلاف القراءتين في اللفظ والمعنى مع تضاد المعنيين^(١) ، فهذا لا يمكن في القرآن الكريم « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » .

يقول ابن قتيبة « الاختلاف نوعان : اختلاف تغاير واختلاف تضاد ، فاختلاف التضاد لا يجوز ، ولست واجده بحمد الله في شيء من القرآن ، إلا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ . واختلاف التغاير جائز ، وذلك مثل قوله « وادكر بعد أمة » أى بعد حين ، و « بعد أمه » أى بعد نسيان ، والمعنيان جميعاً وإن اختلفا صحيحان ؛ لأنه ذكر أمر يوسف بعد حين وبعد نسيان له ، فأنزل الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بالمعنيين في غرضين . . . »^(٢) .

ومن هذا نعلم بطلان قول جولدزيهر السالف ، وقوله أيضاً « وقد يحدث أن يستبعد المعنى المفهوم من النص المشهور تماماً ، ويوضع مكانه ما هو نقيضه !!! » ويقدم مطلع سورة الروم ذكراً لإحدى العلاقات التاريخية المعاصرة التي يندر ورودها في القرآن ﴿ غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفعلون ﴾ فعلى التفسير المشهور تتضمن الآية انعكاس الأثر الذي تركه في نفس محمد صلى الله عليه وسلم انتصار الفرس

(٢) تأويل مشكل القرآن ص (٣١) .

(١) انظر الحديث السابق ص (٥٦) .

على الروم سنة ٦١٦ م ، وقد وصل خبره إلى أهل مكة وقد رحب المشركون بهزيمة النصارى ؛ إذ كانوا يميلون إلى الفرس ، أما محمد - صلى الله عليه وسلم - فقد ساء تأثره من هزيمة النصارى ، إذ كانوا على كل حال أقرب إلى عاطفته ، ولكنه في نفس الوقت عبر !! عن ثقته بأن الدائرة ستدور قريباً على الفرس . . . بيد أن الجميع لم يتفقوا على قراءة النص كما سبق ، بل قرئ أيضاً « غلبت الروم » بالبناء للفاعل [وهذا راجع إلى نصر أحرزه الروم توّاً على قبائل عربية تقع على الحدود السورية] في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم [من إضافة المصدر للفاعل] سيفلبون [بالبناء للمفعول] في بضع سنين والمسلمون الذين أجازوا هذه القراءة يرون فيها إخباراً بالنصر الذي أحرزته الجماعة الإسلامية الفتية على البيزنطيين بعد هذا الوحي بضع سنين .

ونرى أن في القراءة المشهورة والقراءة المخالفة لها تأويلين متغايرين تغييراً بعيداً ، فالمنتصرون في القراءة المشهورة هم المهزومون في القراءة المخالفة ، والفعل المبني للفاعل في الأولى مبني للمفعول في الثانية . وإذن فهما قراءتان وتأويلان لجملة واحدة من كلام الله تعالى متعارضتان إلى أبعد مدى ^(١) .

فهذا قول باطل لأننا علمنا أن القرآن كلام الله ، لا صنعة فيه لمخلوق ، أعجز الإنس والجن جميعاً ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ . ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ . والقراءة الأخرى وإن كانت آحادية ، إلا أنه لا يثبت بها التعارض في النص الإلهي ؛ لاختلاف الموضوع في كلتا القراءتين . ويقول القرطبي « وقيل سرورهم إنما كان ينصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين ؛ لأن جبريل أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، حكاه القشيري . قلت : ويحتمل أن يكون سرورهم بالجموع من ذلك ، فسروا بظهورهم على عدوهم وبظهور الروم أيضاً بإنجاز وعد الله » ^(٢) .

(١) مذاهب التفسير الإسلامي (٢٩ : ٣١) (٢) تفسير القرطبي (١٤ - ٦) .

ثم نقول : كيف يصح في العقل أن يثبت عثمان الخطأ في المصحف ، ويرضى بذلك الصحابة ؟ وكيف يجعله للناس إماماً ، ثم يتركه على خطئه ليُصلحَ من يأتي بعده؟ إن عثمان كتب عدة مصاحف ووجه كلا منها إلى قطر من أقطار المسلمين ، والخطأ إما أن يكون في جميعها وتركه ليصلحه الخلف أو أن يكون في بعضها دون البعض ؟ فإن قال في البعض فقد اعترف بصحة البعض ولم يذكر أحد أن الخطأ كان في مصحف دون مصحف ، ولم يختلف المصاحف إلا فيما هو من وجوه القراءات ، وليس ذلك بخطأ ، وإن قال هو في الجميع لم يصح أيضاً ؛ لأنه يكون مناقضاً للقصد في نصب إمام يقتدى به على هذه الصورة - وأيضاً فإذا كان الذين تولوا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك وهم سادات الأمة وعلمائها ، فكيف يقيمه غيرهم^(١) ؟

وأخيراً : فإن من يطالع كتب النحو لا يرى خطأ فيما استشهدوا به من آيات^(٢) . وحسبك أن تعلم أن الآثار التي طعنوا بها القرآن : مضطربة في ألفاظها مع تخليط في أسانيدِها فوق ما فيها من إرسال وانقطاع في السند^(٣) .

(الشبهة الثانية) في آيات بعينها :

١ - الآية الأولى : قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ .

يقول جولدسيهر « وحصل العمل بنفس هذه الوجهة من النظر في مشكلات نحوية أخرى ، وأجيز هذا الاحتمال دون تهيب ولا تردد. وروى هذا الجواز - كما قرىء في الآية (٢٧) من سورة النور « تستأذنوا » بدلا من تستأنسوا » - عن سعيد بن جبير بأعلى سند دون فكير إلى ابن عباس : إن قراءة معينة من القراءات المتلقاة بالقبول ترجع إلى غفلة النساخ^(٤) الخ .

(١) النشر (١ - ٤٥٩) (٢) انظر « شذور الذهب » مثلا (٤٦ : ٥٥) .

(٣) النشر (١ - ٤٥٩) والمفنع (١٢٤ : ١٢٨) . (٤) مذاهب التفسير الإسلامي (٤٧) .

(ونقول) إن هذا القول مدهوس على ابن عباس رضى الله عنهما ، ومن حكاه عنه فهو ملحد زنديق - قال القرطبي : « هذا غير صحيح عن ابن عباس وغيره ؛ فإن مصاحف الإسلام كلها قد ثبت فيها « حتى تستأنسوا » وصح الإجماع فيها من لدن مدة عثمان ، فهى التى لا يجوز خلافها . وإطلاق الخطأ والوهم على الكاتب فى لفظ أجمع الصحابة عليه قول لا يصح عن ابن عباس ؛ وقد قال عز وجل ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ وقال تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾^(١) الخ .

وقال ابن كثير : إن ابن جرير روى الخبر عن ابن عباس هكذا ، ورواه هشيم عن أبى بشر عن سعيد عن ابن عباس بمثله « وهذا غريب جدا » وروى عن العوفى عن ابن عباس قال : « الاستئناس : الاستئذان^(٢) » فعمل الراوى عن ابن عباس وهم حيث فهم من تفسير ابن عباس الاستئناس بالاستئذان أنه قراءة له . وذاك الخبر وإن رواه الحاكم وصححه ، فإنه لا يعتبر تصحيحه عند أهل الفن وقد تعقبه الذهبى فى كثير جداً من « المستدرک » .

ويرد الرواية أيضا أنها معارضة لما نقله القراء السبعة ، والقاعدة أن معارض القطعى ساقط . ومن تأمل فى معنى اللفظين وجد أن (تستأنسوا) متمكنة فى المعنى ، بينة الوجه فى كلام العرب .

٢ — الآية الثانية : قول الله تعالى ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون ، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾^(٣) .

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٢ - ٢١٤) . (٢) تفسير القرآن العظيم (٣ - ٢٧٩ - ٢٨٠) . (٣) الآيات (٨٤ : ٨٩) من سورة المؤمنون .

« قال أبو عبيد : وكذلك رأيت ذلك في الإمام . وقال هارون الأعور عن عاصم الجحدري : كانت في الإمام « الله ، الله »^(١) وأول من ألحق هاتين الألفين نصر بن عاصم الليثي - وقال أبو عمرو - الداني - كان الحسن يقول : الفاسق عبد الله بن زياد زاد فيهما ألفا - وقال يعقوب الحضرمي أمر عبيد الله بن زياد أن يزداد فيهما ألف . قال أبو عمرو - الداني - : وهذه الأخبار عندنا لا تصح لضعف نقلتها واضطرابها وخروجها عن العادة إذ غير جائز أن يُقدِّم نصر أو عبيد الله هذا الإقدام ، من الزيادة في المصحف ، مع علمهما بأن الأمة لا تسوغ لهما ذلك ، بل تنكره وترده وتحذر منه ولا تعمل عليه ، وإذا كان ذلك بطل إضافة هاتين الألفين إليهما ، وصح أن إثباتهما من قبل عثمان والجماعة - رضوان الله عليهم - على حسب ما نزل به من عند الله تعالى وما أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واجتمعت المصاحف على أن الحرف الأول « سيقولون لله » الآية ٨٥ بغير ألف قبل اللام »^(٢) .

والعلة في إسقاط الألف وإثبات اللام في الأولى : أنها جواب « لمن الأرض ومن فيها » لأن اللام لما تقدمت في السؤال أتى بها في الجواب ، وأما قراءة من قرأ من السبعة بالألف في الثانية والثالثة ، لأنه ليس في السؤال لام - والعرب تقول : لزيد وزيد ، جوابا لمن سأل : لمن الدار ؟ لأن تأويل لمن الدار : من يملك الدار ؟ وتقول : زيد ، جوابا لمن سأل : من مالك الدار ؟ وإن قال : لزيد ، لم يخطئ على أن معنى الكلام : لمن هي ؟ « وأهل العراق أسقطوا اللام من الثاني والثالث ، لما لم يتقدم في السؤالين لام ، وبني أهل الشام على معنى الكلام لا على لفظه »^(٣) .

٣ - الآية الثالثة : قول الله تعالى ﴿ أفلم يئس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ﴾ .

روى عن ابن عباس أنه قرأ « أفلم يقبين » وقال عن القراءة المشهورة « أظن الكتاب كتبها وهو ناعس » .

(١) أي الثانية والثالثة . (٢) المقتنع (١١٢) . (٣) مقدمتان في علوم القرآن (١٢٨)

(ونقول) إن هذا زعم باطل وقول زنديق «وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الإمام ، وكان متقلبا في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه ، لا يغفلون عن جلالته ودقائقه ، خصوصا عن القانون الذي إليه المرجع ، والقاعدة التي عليها البناء ، هذه والله فرية ما فيها مرية» (١) .

وقد وردت القراءة المتواترة عن ابن عباس ، كما حكاه القرطبي عن مجاهد وسعيد ابن جبير عنه (٢) ثم إن هذه القراءة مسندة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقرأ بها لأنها لم تتلق (٣) .

ونكتفي بهذا القدر من الآيات ، ومن أراد المزيد فعليه بمراجعة المطولات .

وجماع القول :

أن الله تعالى وعد بحفظ كتابه ، من أيدي المفرضين ، وصانه عن وصول الباطل إليه ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ ، ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ ولقد ذكر القرآن أن الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه لا يستطيع أن يبدله ﴿قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى﴾ ، ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين﴾ .

وإذا كان هذا حال الرسول صلى الله عليه وسلم فأولى منه الصحابة والتابعون ومن بعدهم ، لا يستطيع أحد منهم أن يغير منه شيئا . ولقد علمنا أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يعتمدون في نقل القرآن وفي حفظه على مسمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى لقد ضبطوا عنه الحركات والسكنات والغنات والمدات والوقفات وكل ما يتصل بالقرآن الكريم ، يشهد بذلك التاريخ الصحيح ، وكيف لا ، وقد علموا أن القرآن سبب عزهم

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل (١-٦٥٥) . (٢) الجامع لأحكام القرآن (٩-٣٢٠) .

(٣) البحر المحیط (٥-٣٩٣) .

في الدنيا وسعادتهم في الآخرة ! ولم يزل أهل الفضل يقومون بخدمة القرآن الكريم ، خلفنا عن سلف ، حتى وصل إلينا كما نطق به الرسول صلى الله عليه وسلم بعيداً عن التحريف والتغيير والتبديل وسيظل هكذا حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

(٧) شكل المصحف وإعجابه :

يقال : شكّل الكتاب : إذا قيده بالإعراب ، وأشكّل الكتاب : إذا أزال إشكاله والتباسه . ويقال : أعجم الحرف إذا نقطه بالسواد ، كالتاء عليها نقطتان ، وحروف المعجم هي الحروف المنقطعة التي يختص أكثرها بالنقط من بين سائر حروف الاسم ^(١) . فالشكل خاص ببيان ما يعرض للحرف من حركة أو سكون ، والإعجام خاص ببيان ذات الحرف وتميزه عن غيره .

ولما كتب عثمان المصاحف جردها من الشكل والنقط ؛ لأن العرب لم تكن في حاجة إلى ما يرشدهم إلى النطق الصحيح الخالي من اللحن ، لأنهم يدركون ذلك بسليقتهم . وأيضا حتى تصلح الكلمة لأن تقرأ بوجوه القراءات الثابتة ، التي يحتملها الرسم مجرداً من النقط والشكل .

ولما جاوز الإسلام حدود بلاد العرب ودخل الناس من غير العرب في الدين ، أخذ اللحن في الكلام يفشو بين العرب وبين العجم على السواء ، حتى لقد قيل : إن زياداً والى البصرة سأل أبا الأسود الدؤلي أن يضع للناس علامات يعرفون بها كتاب الله ، فاستعفاه من ذلك ، ثم حدث أن أبا الأسود سمع قارئاً يقرأ « أن الله برىء من المشركين ورسوله » بجر اللام فأفرغه هذا الأمر فزعا شديداً ، وذهب إلى زياد وقال له : قد أجبتهك إلى ما سألت . ثم إنه وضع الشكل أولاً ؛ لأن الحاجة إلى معرفة حال الحرف أمس من الحاجة إلى الإعجام الذي يميز الحرف من الحرف ، فوضع على الحرف المفتوح نقطة من أوله ،

(١) مختار الصحاح (٣٦٧ ، ٤٤٠) بتصرف .

والمضموم نقطة من آخره ، والمكسور نقطة تحت أوله - والذي اشتهر الآن الضبط بالحركات المأخوذة من الحروف ، وهو الذي أحدثه الخليل بن أحمد^(١) .

ويروى الداني أن المبتدئ^٢ بذلك كان نصر بن عاصم الليثي وأنه الذي قسمها وعشرها . ويروى أيضا أن ابن سيرين كان عنده مصحف نقطه يحيى بن يعمر ، وأن يحيى أول من نقطها . ثم يقول « وهؤلاء الثلاثة من جلة تابعي البصريين ، وأكثر العلماء على أن المبتدئ^٣ بذلك أبو الأسود الدؤلي ، جعل الحركات والتنوين لا غير ، وأن الخليل بن أحمد هو الذي جعل الهمز والتشديد والروم والإشمام »^(٢) .

وأما ابن عطية فيرى أن عبد الملك بن مروان هو الذي أمر به « فتجرد لذلك الحجاج بواسط وجد فيه ، وزاد تحزيبه ، وأمر وهو والى العراق : الحسن ويحيى بن يعمر بذلك ... »

وأما وضع الأعراس فيه : فمر بي في بعض التواريخ أن المأمون العباسي أمر بذلك ، وقيل إن الحجاج فعل ذلك . وذكروا أبو عمرو السمراني عن قتادة أنه قال : بدءوا فنقطوا ثم خمسون ثم عشروا ، وهذا كالاتسكار^(٣) .

وهؤلاء الأربعة (نصر ، يحيى ، أبو الأسود ، الحسن) من جلة التابعين ، وقد عاشوا في النصف الثاني من القرن الأول الهجري ، ومن هنا يمكننا أن نقول إن إحداث الشكل تبعه إحداث النقط مع تقارب في الزمن . ويمكننا أن نقول في التوفيق بين الأربعة : إن أبا الأسود هو أول من بدأ على الإطلاق في شكل المصاحف ، ولكن بصفة فردية . وإن نصر بن عاصم هو الذي زاد على الشكل التخمين والتعشير ، وإن الحسن ويحيى هما اللذان نشر المصحف على حالته الأخيرة بأمر الوالي ، فأخذ الصفة الرسمية وذاع بين الناس .

(١) الإتيان (٢ - ١٧١) ، وانظر الإصابة (٢ - ٢٤١ ، ٢٤٢) .

(٢) المقنع (١٣٣) . (٣) مقدمة ابن عطية (٢٧٥) .

حكم نقط المصحف وشكله :

كان القرآن في الصدر الأول مجرداً من كل ما ليس بقرآن، فلم تكتب فيه الاستعاذة مع كونها مطلوبة ممن يريد القراءة، ولم تكتب (آمين) آخر الفاتحة مع كونها مطلوبة كذلك ، ولم يكتب فيه اسم السورة ولا عدد آياتها ولا زمان نزولها - إلى غير ذلك مما نراه الآن في المصاحف .

وكان ابن مسعود يكره التعشير في المصحف ويقول: جردوا القرآن ولا تلبسوا به شيئاً . وعن الحسن أنه كان يكره التعشير في المصحف ونقطه ويقول : جردوا القرآن ولا تلبسوه بشيء .

وعن أبي جمرة قال : أتيت إبراهيم^(١) بمصحف لي مكتوب فيه سورة كذا وكذا آية ، فقال إبراهيم : أمح هذا ، فإن ابن مسعود ، كان يكره هذا ويقول : لا تخلطوا بكتاب الله ما ليس منه .

وعن خالد الخذاء قال : رأيت ابن سيرين يقرأ في مصحف منقوط . وسئل ربيعة ابن عبد الرحمن عن شكل القرآن في المصاحف فقال : لا بأس به . وكذا سئل الحسن عن المصحف ينقط بالعربية فقال : أو ما بلغك كتاب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن تفقهوا في الدين وأحسنوا عبارة الرؤيا وتعلموا العربية^(٢) ولعل الحسن كان يكرهه أولاً ثم أجازه أخيراً ، بدليل الأثر السابق من أنه شارك في العمل .

والعلماء من المتقدمين والمتأخرين على جوازهم، بل صرح بعض الفقهاء على استحبابه، لما فيه من صيانة القرآن عن اللحن ، لأن الأحوال تغيرت والههم فترت ، واللغة أصبحت غريبة بين أهلها ، فلو لم يشكل القرآن وينقط لحصل اللبس والخطأ في قراءته ، فينتقل الغرض على عكس ما كان يراد من تجريدته .

(١) أي إبراهيم النخعي التامبي الجليل رضي الله عنه ، رأى السيدة عائشة رضي الله عنها ، ودخل عليها ولم يثبت له منها سماع ، توفي سنة ٩٦ هـ عن ٤٩ سنة .
(٢) انظر هذه النصوص وغيرها في كتاب المصاحف (١٣٨ : ١٤٣) والمقنع (١٣٣) .

قال الداني « والناس في جميع أمصار المسلمين من لدن التابعين إلى وقتنا هذا على الترخيص في ذلك ، في الأمهات وغيرها^(١) ، ولا يرون بأساً برسم فواتح السور وعدد آيها ورسم الخموس والعشور في مواضعها ، واخطأ مرتفع عن إجماعهم . . .

قال أبو عمرو : ولا أستجيز النقط بالسواد ، لما فيه من التغيير لصورة الرسم ، وقد وردت الكراهة بذلك عن عبد الله بن مسعود وعن غيره من علماء الأمة . وكذلك لا أستجيز جمع قراءات شتى بألوان مختلفة في مصحف واحد ، على ما أشار إليه بعض أهل عصرنا ، ومن جهل ما في ذلك من الكراهة ممن تقدمه ، لأن ذلك من أعظم التخليط والتغيير لمرسومه ، وأرى أن يكون الحركات والتنوين والتشديد والسكون والمد بالجرمة ، والهمزات بالصفرة^(٢) .

وقال النووي « اتفق العلماء على استحباب كتابة المصاحف وتحسين كتابتها وتبيينها وإيضاحها وتحقيق الخط دون مشقة وتعليقه . قال العلماء : ويستحب نقط المصحف وشكله ، فإنه صيانة من اللحن فيه وتصحيحه ، وأما كراهة الشعبي والنخعي النقط فإنما كرهاه في ذلك الزمان خوفاً من التغيير فيه ، وقد أمن ذلك اليوم فلا منع ، ولا يمتنع من ذلك لكونه محدثاً ، فإنه من المحدثات الحسنة ، فلم يمنع منه كمنظأره مثل تصنيف العلم وبناء المدارس والرباطات وغير ذلك . والله أعلم^(٣) .

(١) حكى من قبل أن الإمام مالكا أجاز له لصغار المتعلمين ، أما الأمهات فلم يجز ذلك فيها .
(٢) المفتح (١٣٣ ، ١٣٤) . (٣) التبيان في آداب حملة القرآن (٩٨) .

الفصل الثالث

فضل حفظ القرآن وتعليمه

حفظ القرآن الكريم فرض كفاية على الأمة، وكذلك تعليمه، صرح به أبو العباس الجرجاني في كتابه (الشافى) فى فروع الشافعية، وكذا العبادى وغيرهما - قال الجوينى: والمعنى فيه ألا ينقطع عدد التواتر فيه، ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف، فإن قام بذلك قوم سقط الإثم عن الباقيين، فإن لم يكن فى البلد والقربة من يتلو القرآن أئموا بأسرهم، ولو كان هناك جماعة يصلحون لتعليمه وطلب من بعضهم وامتنع لم يأتهم فى الأصح^(١).

وهو أشرف العلوم وحملته أشرف الناس^(٢)، حث الله على تعليمه وترتيبه، ووعد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم أجراً عظيماً - فمن القرآن ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾، ﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن﴾ ﴿اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة...﴾ ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهذى به من يشاء﴾ وفى الوعيد ﴿... وإذا تولى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم﴾.

وروى البخارى عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». وفى الصحيحين عن عائشة قالت: قال صلى الله عليه وسلم «الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن وهو يتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران».

(١) البرهان (١ - ٤٥٦)، والإيمان (٩٩ -).

(٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أشرف أمتى حمله

القرآن» رواء البيهقى فى شعب الإيمان - (الشرح ج ١ ص ٣).

وروى الترمذى وقال عنه : حسن صحيح - عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الذى ليس فى جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب » .
وروى مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« إن الله تعالى يرفع بهذا الكلام أقواماً ويضع به آخرين » .
وروى عن أبى أمامة الباهلى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » .

وروى البخارى عن جابر بن عبد الله « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد ، ثم يقول : أيهما أ أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإن أشير إلى أحدهما قدمه فى اللحد » وأخرج أبو داود وأحمد والحاكم عن معاذ بن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس الله والديه تاجاً يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا ، فما ظنكم بالذى عمل بهذا ؟ »
وروى أحمد والدارى وابن ماجه وغيرهم من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن لله أهلين من الناس ، قيل : من هم يا رسول الله ! قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » . وعن شقيق أبى وائل قال : « قيل لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه : إنك تنقل الصوم ! قال : إني إذا صمت ضعفت عن القرآن ، وتلاوة القرآن أحب إلى » .

وروى الحاكم عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً : « من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه » . وكان الإمام أبو عبد الرحمن السلمى التابعى الجليل يقول لما يروى حديث عثمان المرفوع « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » : « هذا الذى أتعدي متعدي هذا » يشير إلى كونه جالساً فى المسجد الجامع بالكوفة ، يعلم القرآن ويقرئه ، مع جلالة قدره وكثرة علمه وحاجة الناس إلى علمه ، وبقي يقرئ الناس بجامع الكوفة أكثر من أربعين سنة ، وعلمه قرأ الحسن والحسين رضى الله عنهما . ومرو

أعرابي على عبد الله بن مسعود وعنده قوم يقرأون القرآن ، فقال : ما يصنع هؤلاء ؟
فقال له ابن مسعود : يقسمون ميراث محمد صلى الله عليه وسلم^(١) .

الأمر بتمهيد القرآن والتحذير من نسيانه :

وعلى من حفظه أن يداوم عليه ويتعاهده بالذكر وألا يعرضه للنسيان ، قال تعالى
﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تتشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم
تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ فسماه ذكراً . وأثنى تعالى على من كان دأبه تلاوة
آيات الله ﴿ من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل ﴾ .

وعن عبد الله قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بئسما لأحدكم يقول :
نسيت آية كيت وكيت ، بل ، هو نُسِي ، استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيماً من صدور
الرجال من النعم بعقلها »^(٢) ، ومن طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال « إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة ، إن عاهد
عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت . وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره ،
وإذا لم يقرأه نسيه »^(٣) وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تعاهدوا
هذا القرآن ، فو الذي نفس محمد بيده هو أشد تغلثاً من الإبل في عقلها »^(٤) .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرضت على أجور
أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد ، وعرضت على ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم
من سورة من القرآن أو آية أوتيتها رجل ثم نسيها »^(٥) . وعن سعد بن عباد عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : « من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله عز وجل يوم القيامة وهو أجذم »^(٥) .

(١) اعتمدنا في هذه الأحاديث على (التبيان) ص ٧ : ١٣ ، (رياض الصالحين) ص ٣٦١ : ٣٦٣ ،

(الإتيقان) ج ٢ ص ١٥١ ، (النشر) ج ١ ص ٣ ، ٥ ، (مقدمة ابن عطية في التفسير) ص ٢٥٦ ، ٢٥٨ ،

مسلم (٦ - ٩٧) . (٢) متفق عليه واللفظ لمسلم (٦ - ٧٦) .

(٣) مسلم (٦ - ٧٦) . (٤) متفق عليه واللفظ لمسلم . (٥) هذان الحديثان رواهما

أبو داود ، والترمذي ، وقال النووي عن الأول (تكلم فيه) التبيان (٣٣) .

وروى ابن أبي الدنيا عن بعض حفاظ القرآن : أنه نام ليلة عن حزبه ، فأرى في منامه كأن قائلًا يقول له :

عجبت من جسم ومن صحة ومن فتى نام إلى الفجر
والموت لا يؤمن خطفاته في ظلم الليل إذا يسرى^(١)

تفرغ الكثير من الصحابة لحفظ القرآن وفهمه :

نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانت همته منصرفة إلى حفظه واستظهاره ، ولقد بلغ من شدة حرصه على حفظه أنه كان يحرك به لسانه فور سماعه من جبريل عليه السلام ؛ مخافة أن يفلت منه شيء ، ولكن الله طمأنه بأن وعده أن يجمعه في صدره وأن يسهل له حفظه وفهم معناه ، قال تعالى : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ﴾^(٢) .

وكان يبلغه صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، وكانوا يتسابقون في الأخذ من فيه الشريف صلى الله عليه وسلم ؛ ولذا فقد كان كتاب الله في المحل الأول من عنايتهم ؛ حفظاً وأخذاً من فيه صلى الله عليه وسلم ومدارسة .

وكان صلى الله عليه وسلم يذكى فيهم هذه العناية بالقرآن ، ويبعث منهم المعلمين إلى من كان بعيد الدار ، كما بعث معاذاً إلى اليمن ومصعب بن عمير وابن أم مكتوم إلى أهل المدينة قبل الهجرة ؛ ويقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه « كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل منّا يعلمه القرآن ، وكان يسمع لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ضجة بتلاوة القرآن ، حتى أمرهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتفالتوا »^(٣) .

وروى أبو داود بإسناد صحيح عن أبي سعيد « اعتكف رسول الله صلى الله عليه

(١) نفس المرجع (٣٤) . (٢) انظر الحديث بتمامه في صحيح البخارى (١-٤) ، (٦-٢٠٣) .

(٣) مناقب العرفان (١ - ٢٣٤) .

وسلم في المسجد ، فسمعهم يجيرون بالقراءة فكشف الستر وقال : ألا إن كلكم منا جرب به فلا يؤذون بعضهم بعضاً ، ولا يرفع بعضهم على بعض في القراءة »^(١) . وعن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالليل حين يدخلون ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار » رواه البخاري ومسلم^(٢) .

« ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور ، لا على حفظ المصاحف والكتب ، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة ؛ ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن ربي قال لي : قم في قریش فأنذرهم ، فقلت له : رب إذن يملغوا رأسي حتى يدعوه خُبزة ، فقال : إني مبتليك ومبتلي بك ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظان ، فابعث جندا أبعث مثلهم ، وقاتل بمن أطاعك من عصاك ، وأنفق ينفق عليك » .

فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء ، بل يقرأه في كل حال ، كما جاء في صفة أمته : « أنا جيلهم في صدورهم » وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب ، ولا يقرأونه كله إلا نظراً ، لا عن ظهر قلب . ولما خص الله تعالى بحفظه من شاء من أهله ، أقام له أئمة ثقات تجردوا لحفظه ، وبدلوا أنفسهم في إتقانه ، وتلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم حرفاً حرفاً ، لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً ولا إثباتاً ولا حذفاً ، ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهم . وكان منهم من حفظه كله ومنهم من حفظ أكثره ومنهم من حفظ بعضه . كل ذلك في زمن النبي صلى الله عليه وسلم »^(٣) .

(١) الإتقان (١ - ١٠٨) . (٢) التبيان (٥٣) .

(٣) النشر (١ - ٦) وفي الأصل : (تجردوا لتصحیحہ) وانتلغ : الشدخ ، وقيل هو ضربك

الشيء الرطب بالشيء اليابس حتى يندسخ (النهاية ١ - ٢٢٠) .

ومن الأدلة أيضاً : حديث سهل في المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولما عرض عنها قام رجل من أصحابه وتزوجها ، وفي الحديث « فلما جاء قال : ماذا معك من القرآن ؟ قال : معي سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا عدها ، قال : أتقرأهن عن ظهر قلبك ؟ قال : نعم ، قال : اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن »^(١) .

وقد ذكر الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام في أول كتابه (القراءات) القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فعد من المهاجرين : الخلفاء الأربعة وطلحة وسعدا وابن مسعود وحذيفة وسالما وأبا هريرة وعبد الله بن السائب وابن الزبير والعبادلة وعمر بن العاص ومعاوية . ومن أمهات المؤمنين : عائشة وحفصة وأم سلمة .

وعد من الأنصار : أبي بن كعب وأبا الدرداء وزيد بن ثابت وأنس بن مالك وعبادة بن الصامت ومعاذ الذي يكنى أبا حليلة ومجمع بن جارية وفضالة بن عبيد ومسلمة ابن مخلد وغيرهم .

وذكر الحافظ الذهبي في مقدمة (طبقات القراء) له^(٢) : أن العدد الذي عرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم هو هذا : عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وأبو الدرداء . قال : ومن جمعه من الصحابة كثير : كعاز وأبي زيد وسالم وعبد الله بن عمر وعقبة « ولكن لم تقبل قراءتهم عن طريقه ، وإن كانت قد وصلتنا عن غيره » قال : وقرأ على أبي جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عباس وعبد الله بن السائب . وأخذ ابن عباس عن زيد أيضا ، وأخذ عنهم خلق كثير من التابعين^(٣) .

وذكر العيني بعضا من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم عن جمعوا القرآن ثم

(١) انظر الحديث في صحيح البخاري (٦ - ٢٣٧ ، ٢٣٨) .

(٢) مصور (١٥٣٧) تاريخ بدار الكتب المصرية .

(٣) انظر : البرهان (١ - ٢٤٢ ، ٢٤٣) والإتقان (١ - ٧٢) وفتح الباري (١٠ - ٤٢٧)

قال « وقد ظهر من هذا أن الذين جمعوا القرآن على عهدہ صلى الله عليه وسلم لا يحصيهم أحد ولا يضبطهم عدد » (١) .

هذا عدا روايات الصحيحين (٢) الدالة على أخذهم القرآن من فيه صلى الله عليه وسلم، وهم الذين تصدوا لتعليم القرآن واشتهروا بحفظه - وهم سبعة : عثمان وعلي وأبي وزيد وابن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري : كذا ذكرهم الذهبي في طبقات القراء (٣) ولكننا نرى الروايات التاريخية تثبت أن الصحابة قد استشهد منهم في بئر معونة سبعون رجلاً ، كان يقال لهم القراء ، وفي يوم اليمامة - وهو قريب من عهد النبي صلى الله عليه وسلم - قريب من خمسمائة (٤) .

وهذه الروايات وغيرها ، وإن عينت بعض الذين عرضوا القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ، أو الذين قرأوه عليه ، أو تصدوا لتعليمه ونشره بين الأمة ، فليس معنى هذا أن غيرهم لم يفعل مثل فعلهم ، بل إن عدة الجامعين من الكثرة بحيث لا يحصيهم إلا رب العباد .

طعن الرافضة في تواتر القرآن :

طعن الروافض في تواتر القرآن منذ العصر الأول ؛ مستدلين بالحديث الصحيح « مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة : أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد . قال : ونحن ورثناه » رواه البخاري عن أنس - وفي رواية عنده أيضاً عن قتادة قال : « سألت أنس بن مالك رضى الله عنه : من جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ومعاذ ابن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد » وفي رواية مسلم زيادة « قال قتادة : قلت لأنس : من أبو زيد ! قال أحد عمومتي » (٥) .

(١) عمدة الفاري (٢٠ - ٢٧) . (٢) انظر فتح الباري (١٠ - ٤٢٢ ، ٤٢٧) وشرح

النووي على مسلم (١٦ - ١٩) . (٣) الإتيان (١ - ٧٢) . (٤) فضائل القرآن (٩) .

(٥) صحيح البخاري (٦ - ٢٣٠) ومسلم (١٦ - ١٩ ، ٢٠) .

والحديثان - كما ترى - بينهما مخالفة في التصريح بصيغة الحصر وعدم التصريح بها، وفي ذكر أبي بن كعب مرة وأبي الدرداء مرة أخرى . وعلى أية حال لاحجة للروايف فيما ادعوه . فإنه لو ثبت أنه لم يجمعه إلا المذكورون، فإنه لا يقدر في تواتره، لأن أجزاء القرآن الكريم حفظ كل جزء منها خلافاً لا يحصون ، يحصل بهم التواتر ، وليس من شرط التواتر أن يحفظ كل فرد جميع الأجزاء ، بل إذا حفظ كل الأفراد كل الأجزاء على سبيل التوزيع ، صارت جملة الأجزاء متواترة - وكيف نطن هذا بالصحابة ، ونحن نرى أهل عصرنا حفظه منهم في كل قرية وفي كل مصر الألف، مع بعد رغبتهم في الخير عن درجة الصحابة^(١) ؟ .

بل لقد بلغ من شدة حرصهم عليه أنهم كانوا يعلمونه صبيانهم « قال ابن عباس رضي الله عنهما : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم » وفي رواية « فقلت له : وما المحكم ؟ قال المفصل »^(٢) .

والخلاصة أن الصحابة رضوان الله عليهم قد عنوا بحفظ القرآن وإقرانه ، والكثير منهم فعل ذلك في حياته صلى الله عليه وسلم ، وبعد وفاته حفظه من لا يحصى ، وتلقاه التابعون عن الصحابة وعن التابعين من بعدهم ، عصرًا من بعد عصر ، إلى أن وصل إلينا كعهد النبي صلى الله عليه وسلم به ، وذلك تحقيقاً لوعده الله بحفظه ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

العوامل المساعدة على حفظ القرآن الكريم :

كان صلى الله عليه وسلم يتلقى القرآن من جبريل عليه السلام ، وكان يرجع إليه فيما يجد من حوادث ؛ إذ أنه مصدر التشريع الأول ، وهو القائم على تطبيق أحكامه :

(١) مسلم شرح النووي (١٦ - ١٩ ، ٢٠) وفتح الباري (١٠ - ٤٢٨) وانظر تفصيل الردود فيهما ، وفي البرهان (١ - ٢٤٢) والإتقان (١ - ٧٠ : ٧٢) . وفي الجزء الأول من كتابنا في علوم القرآن (ص ١٠٨ : ١١٢) . (٢) صحيح البخاري (٦ - ٢٣٨) .

﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾ ، وكان يعارض جبريل به في كل عام مرة ؛ لكي يتقرر عنده ويرسخ أمر سوخ ، وعارضه به مرتين عام قبض^(١) ثم إنه صلى الله عليه وسلم كان يمليه على أصحابه ، ومن كان منهم أمياً استحفظه ، وكان التعويل على الحفظ ؛ لأنه الوسيلة الوحيدة للإحاطة بكلام الله ، خاصة وأن الأمية كانت شائعة بينهم .

ويمكننا أن نعدد الأسباب والدواعي التي اقتضت حفظ القرآن الكريم فيما يلي :-
(١) القرآن سبب عزمهم في الدنيا وسعادتهم في الآخرة ؛ إذ به يسوسون الناس ويشفع لهم في الآخرة . روى عن أبي أمامة الباهلي قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران ؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة ، كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف ، تحاجان عن أصحابهما ، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة . قال معاوية . بلغني أن البطلة السحرة »^(٢) .
وغير بعيد عنك ماذا كراهه من الأحاديث المرغبة في حفظ القرآن ودراسته .

(٢) أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكتف بتبليغه لهم ، بل عين غيره من الصحابة من يقرئ الناس : فقد روى الشيخان وغيرهما عن عبد الله بن عمرو قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خذوا القرآن من أربعة : من ابن أم عبد - فبدأ به - ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وسالم مولى أبي حذيفة » وفي رواية عنه أيضاً « استقرئوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل »^(٣) .

(١) انظر حديث المعارضة ، والكلام عليه ، في الكتاب الأول (ص ١٢٥ : ١٤١) .

(٢) قال النووي (شرح مسلم ٦ - ٩٠) : الغمامة والغياية : كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه ، والفرقان : القطيعان والجماعتان .

(٣) شرح النووي على مسلم (١٦ - ١٧ : ١٩) .

وبهذا الاهتمام العظيم بالقرآن ، أتقنه الألوف المؤلفة من الصحابة ، واهتموا به وحفظوه على مدى السنين الأولى من صدر الإسلام .

(٣) القرآن هو مصدر التشريع الأول ، ولم تكن لديهم وسيلة لتسجيله - مع حبهم للتفقه والتعلم ، وشفقهم بكلام الله تعالى من فم الرسول الشريف - ومن هنا كان تسابقهم لأخذه عنه صلى الله عليه وسلم مباشرة وإتقانهم له .

(٤) كان الصحابة من أمة يضرب بها المثل في الذكاء والألمعية وصفاء النفس وسيلان الذهن ، حتى لقد كان الواحد منهم يحفظ ما يسمعه من أول مرة وكانت أيامهم ووقائعهم وأنسابهم تسجل في صدورهم بدون حاجة إلى تسجيل في الكتب . ساعدتهم على ذلك :

(١) البيئة الطبيعية ، من سماء صافية وشمس مشرقة وصحراء شاسعة ، يفتنى فيها ضيق الصدر وانقباض النفس .

(ب) الحياة الاجتماعية ، من تجردهم عن المشاغل المعوقة عن الحفظ ، وعن حياة الترف المرهقة للفكر والصارفة عن الاستقرار ؛ إذ لا ريب أن الإنسان ببعده عن الشواغل أقدر على التركيز والحفظ .

(٥) في القرآن من الخصائص البلاغية والأساليب البيانية ما جاوز مقدرة العرب وبلغ بهم حد الإعجاز ، فكان في قراءتهم له متعة نفسية وروحية ، وهذا دعاهم إلى حفظ القرآن وتكراره في كل وقت ؛ إشباعاً لغريزتهم وولوعهم بكل بليغ .

ويحسن أن ننقل هنا عبارة أبي سليمان الخطابي في إعجاز القرآن . قال : « إن أجناس الكلام مختلفة ، ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة ، ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية ، فمنها البليغ الرصين الجزل ، ومنها الفصيح القريب السهل ، ومنها الجائر الطلق الرسل . وهذه أقسام الكلام الفاضل محمود ، دون النوع المهجين المذموم ، الذي لا يوجد في القرآن شيء منه ألبتة .

فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعه ، والقسم الثاني أوسطه وأقصده ،
والقسم الثالث أدناه وأقربه . فحازت بلاغة القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة ،
وأخذت من كل نوع من أنواعها شعبة . فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من
الكلام يجمع بين صفتي الفخامة والعدوية ، وهما على الانفراد في نوعيهما كالمضادين ؛
لأن العدوية نتاج السهولة ؛ والجزالة والمتانة في الكلام تعالجان نوعاً من الوعورة ،
فكان اجتماع الأمرين في نظمه ، مع نبو كل منهما على الآخر ، فضيلة خص بها القرآن ،
يسرها الله بلطيف قدرته من أمره ، ليكون آية بينة لنبيه ، ودلالة على صحة ما دعا
إليه من أمر دينه . .

وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما
ناظم . وإذا تأمات القرآن وجدت هذه الأمور منه في غابة الشرف والفضيلة . . . فتفهم
الآن واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف ،
مضمناً أصح المعاني . . . ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور ، والجمع بين شتاتها حتى
تنتظم وتتنسق ، أمر تعجز عنه قوى البشر ، ولا تبلغه قدرهم ، فانقطع الخلق دونه ، وعجزوا
عن معارضته بمثله أو مناقضته في شكله « (١) . . . الخ

(٦) ارتباط القرآن بحياتهم اليومية ، ووروده على حسب ما يحدث من الوقائع
المتجددة ، وعلى حسب ما يكون منهم من استفسارات وأسئلة وبذلك يتمكن القرآن
في النفوس أيما تمكن .

ولعل هذه الحكمة هي التي اقتضت نزول القرآن منجماً مفروقاً على أكثر من
عشرين سنة ، وتلك سياسة من الله حكيمة في تربية الأمة ، حيث تدرج بهم في النزول : رحمة بهم
في انتزاع العقائد والشرائع الباطلة ؛ وغرس الأخلاق الفاضلة فيهم ؛ وتيسيراً عليهم في حفظه
حيث إنهم مكلفون بحفظه على سبيل الكفاية ، ويصعب على الكثير منهم تدوينه ؛ لقلة
وسائل الكتابة عندهم ولا انتشار الأمية بينهم ، مع انشغالهم بأمور المعيشة والجهاد في سبيل الله .

(٧) الترغيب والترهيب اللذان حفل بهما الكتاب الكريم ، وغريزة الإنسان تدفعه لتحقيق الخير لنفسه ودفع المساءة عنها - وإن من أفراد هذا الباب الترغيب في حفظ القرآن لما يترتب عليه من الخير العاجل والآجل ، والترهيب من عدم حفظه أو من حفظه ثم نسيانه - وبجانب ما سبق نذكر عن الإمام النووي قال « روى الدارمي بإسناده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اقرأوا القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن وإن هذا القرآن مادبة الله فمن دخل فيه فهو آمن ، ومن أحب القرآن فليشره » وعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ، ريحها طيب وطعمها طيب ؛ ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ؛ ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الخنظلة ليس لها ريح وطعمها مر » رواه البخارى ومسلم^(١) .

(٨) التعمد بالقرآن فى الصلاة وخارجها :

ومن الأسباب الهامة التى جعلت القرآن محفوظاً فى الصدور خلفاً عن سلف ، منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة : أن قراءته عبادة يؤجر عليها القارىء ، سواء بفهم أو بغير فهم ؛ قال تعالى ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور ﴾ وقد سبق بعض الأحاديث المؤيدة لهذا المعنى .
فارجع إليها .

وهذه خصيصة امتاز بها أهل القرآن مع القرآن ؛ إذ أن غيره لا يؤجر فاعله عليه

(١) التبيان (٨ : ١٠) ومسلم (٦ - ٨٣ ، ٨٤) .

إلا مع التفكير والتدبر ، حتى الصلاة وهي عماد الدين ، ليس للمرء من ثوابها إلا بمقدار ما عقل منها .

ومن أجل هذا يرى بعض العلماء يقول : « ينبغي للمقري والقارى أن يقصد بذلك رضا الله تعالى ؛ قال الله تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ أى الملة المستقيمة . . . وينبغي ألا يقصد به توصلاً إلى غرض من أغراض الدنيا من مال أو رياسة أو وجهة أو ارتفاع على أقرانه أو ثناء عند الناس أو صرف وجوه الناس إليه أو نحو ذلك ، ولا يشوب المقري إقراءه ، بطمع فى رفقى يحصل له من بعض من يقرأ عليه ، سواء كان الرفق مالا أو خدمة، وإن قل ، ولو كان على صورة الهدية، التى لولا قراءته عليه لما أهداها إليه . . . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى ، لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا ، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » رواه أبو داود بإسناد صحيح (١) .

هذا هو رأى الإمام النووى - وقال البخارى بروايته عن ابن عباس « إن نقرأ من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مروا بما فىهم لديغ أو سليم ، فعرض لهم رجل من أهل الماء ، فقال : هل فىكم من راق ؟ إن فى الماء رجلاً لديغاً أو سليماً ، فانطلق رجل منهم فقراً بفانحة الكتاب على شاء ، فبرأ ، فجاء بالشاء إلى أصحابه ففكر هو ذلك ، وقالوا : أخذت على كتاب الله أجراً ، حتى قدموا المدينة ، فقالوا يارسول الله : أخذ على كتاب الله أجراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله » (٢) .

وفصل أبو الليث السمرقندى الحكم فقال «التعليم على ثلاثة أوجه: أحدها للحسبة، ولا يأخذ به عوضاً . والثانى : أن يعلم بالأجرة . والثالث : أن يعلم بغير شرط ، فإذا

أهدى إليه قبل . فالأول : مأجور عليه ، وهو عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .
والثاني مختلف فيه ، قال أصحابنا المتقدمون : لا يجوز لقوله صلى الله عليه وسلم « بلغوا
عنى ولو آية » ، وقال جماعة من المتأخرين يجوز ، مثل عصام بن يوسف ونصر بن يحيى
وأبي نصر بن سلام وغيرهم ، قالوا : والأفضل للمعلم أن يشارط الأجرة للحفاظ وتعليم
الكتابة ، فإن شارط لتعليم القرآن أرجو أنه لا بأس به ؛ لأن المسلمين قد توارثوا ذلك
واحتاجوا إليه . وأما الثالث : فيجوز في قولهم جميعاً^(١) ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم
كان معلماً للخلق ، وكان يقبل الهدية ؛ ولحديث اللديغ لما رقوقه بالفتحة^(٢) ، وجعلوا له
جعلاً ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « واضربوا لى معكم فيها بسهم »^(٣) .

ولهذا السبب أيضاً قال العلماء « يكره قطع القرآن لكاملة الناس ؛ وذلك أنه إذا
انتهى فى القراءة إلى آية وحضره كلام ، فقد استقبله التى بلغها والكلام ، فلا ينبغي
أن يؤثر كلامه على قراءة القرآن . قاله الخليمى ؛ وأيده البيهقى بما رواه البخارى : كان
ابن عمر إذ قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه »^(٤) .

وقد تعبدنا الله بتلاوة القرآن فى الصلاة وخارجها ، لفوائد ذات شأن منها :

(١) أن الأجر العظيم الذى وعده الله قارىء القرآن ، من شأنه أن يحبب الناس
فى قراءته ويدفعهم إلى الإكثار منها ، وهذا يجعل القرآن كثير الدوران على الألسنة ،
فلا يجرؤ أحد على الإقدام على تحريفه ، ومن سولت له نفسه هذا انكشف أمره فى
الحال .

(ب) إيجاد وحدة للمسلمين لغوية ، تعزز وحدتهم الدينية ، وتيسر وسائل التفاهم
والتعاون فيما بينهم ، فتقوى بذلك صفوفهم ، وتعلو كلمتهم .

(١) حكاية الإجماع محل نظر . (٢) صحيح البخارى (٧-١٧٠) ولفظه « واضربوا لى بسهم » .

(٣) البرهان (١-٤٥٧ ، ٤٥٨) . (٤) نفس المرجع (١-٤٦٤) .

وتلك سياسة إلهية حكيمة ، فطن لها نبي الإسلام الحكيم صلى الله عليه وسلم ، وطبقها علماء المسلمين : حتى نجدهم يقولون « لا تجوز قراءته بالعجمية سواء أحسن العربية أم لا ، في الصلاة وخارجها ؛ لقوله تعالى ﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربياً ﴾ وقوله ﴿ ولو جعلناه قرآناً أَعْجَمياً . . . ﴾ .

وقيل عن أبي حنيفة : تجوز قراءته بالفارسية مطلقاً ، وعن أبي يوسف : إن لم يحسن العربية ، ولكن صح عن أبي حنيفة الرجوع عن ذلك . . . واستقر الإجماع على أنه تجب قراءته على هيئته التي يتعلق بها الإعجاز » (١) .

(ج) استدراج القارئ إلى التدبر والاهتداء بهدى القرآن ، عن طريق الترغيب في قراءته ، وعدم السماح بقراءته على غير لغته التي نزل عليها ؛ لأن القارئ بتسكراه ينتقل من درجة إلى درجة أرقى منها . « وكل من سار على الدرب وصل » (٢) .

آداب القرآن الكريم :

القرآن الكريم كلام الله تعالى ، يخاطب الله به عباده ، أنزله لهدايتهم بما بث فيه من عبادات ومعاملات وأخلاق فاضلة ووصايا حميدة ، أمر الله بقراءته وتدبره ، ووعد من فعل ذلك بالأجر العظيم - روى الترمذى - وقال حسن صحيح - وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » .

وروى الترمذى وقال حسن صحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف وإنما ألف حرف ولام حرف وميم حرف » (٣) .

(١) البرهان (١ - ٤٦٤ ، ٤٦٥) . (٢) مناهل العرفان (٢ - ٢٦) .

(٣) رياض الصالحين (٣٦٢ ، ٣٦٣) .

وأول ما يجب على قارئ القرآن أن يخلص النية لله في قراءته ، وأن يراعى الأدب مع القرآن ، فيستحضر في نفسه أنه يناجى ربه ، ويكون حاله حال من يرى الله تعالى ، فإنه إن لم يكن يراه فإنه عز وجل يراه .

وينبغي أن ينظف فاه بالسواك أو غيره . وأن يكون على طهارة ، ويقول إمام الحرمين : إن قرأ محدثاً جاز ولا يقال ارتكب مكروهاً ، بل هو تارك للأفضل . وأن ينظف ثيابه . وأن يكون في مكان نظيف ، ولهذا استحب جماعة من العلماء القراءة في المسجد . ويستحب أن يستقبل القبلة . ويستفتح القراءة بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ثم بالبسملة . وأن يرتل قراءته ، وذلك بأن يفهم ألفاظه ويبين حروفه ، وأن يسكت بين النفس والنفس حتى يرجع إليه نفسه ، ثبت عن أم سلمة رضى الله عنها « أنها نعتت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة مفسرة حرفاً حرفاً » رواه أبو داود والترمذى والنسائى وقال الترمذى حسن صحيح (١) .

ويستحب له إذا مر بآية رحمة أن يسأل الله تعالى من فضله ، وإذا مر بآية عذاب استعاذ بالله من شر العذاب . وإذا مر بآية فيها نداء المؤمنين قال : لبيك ربى وسعديك ثم تأمل ما في مضمونها ، سواء في الصلاة أو خارجها (٢) وأن يضمور في نفسه قبول الأمر في الأمور به ، والانتها عن المنهى عنه . وأن يحترم القرآن في أمور قد يتساهل فيها بعض القارئ من ذلك : اجتناب الضحك والالغط والحديث في خلال القراءة ، إلا كلاماً يضطر إليه . روى البخارى « كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه » (٣) وألا يتشاغل عن القراءة بالنظر إلى ما يلهى أو العبث باليد أو غير ذلك . ويستحب له أن يجهر بالقراءة . وأن يقرأ على ترتيب المصحف ، وأما تعليم الصبيان من آخر المصحف فحسن وليس من هذا القبيل .

(١) التبيان (٤٤) . (٢) هذا مذهب الجمهور من العلماء وكرهه الإمام أبو حنيفة في الصلاة

(التبيان ص ٤٥) . (٣) البرهان (١ - ٤٦٤) .

وأن يحسن صوته بالقراءة؛ عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « زينوا القرآن بأصواتكم » رواه أبو داود والنسائي وغيرهما^(١) .
وأما القراءة بالألحان فقد كرهها الشافعى فى موضع ونفى كراهتها فى موضع آخر ، وقال الماوردى: « القراءة بالألحان الموضوعه إن أخرجت لفظ القرآن عن صيفته بإدخال حركات فيه، أو إخراج حركات منه، أو قصر ممدود أو مدم مقصور ، أو تمطيط يخفى به بعض اللفظ ويلتبس المعنى فهو حرام يفسق به القارئ ويأثم به المستمع ، لأنه عدل به عن نهجه القويم إلى الاعوجاج ، والله تعالى يقول ﴿ قرآنًا غير ذى عوج ﴾ قال: وإن لم يخرج اللحن عن لفظه وقراءته على ترتيله ، كان مباحا ، لأنه زاد على ألحانه فى تحسينه .

هذا كلام أفضى القضاة .

وهذا القسم الأول من القراءة بالألحان المحرمة ، مصيبة ابتلى بها بعض الجهلة الطغام الغشمة الذين يقرأون على الجنائز وفى بعض المحافل ، وهذه بدعة محرمة ظاهرة ، يأثم كل مستمع لها ، كما قاله أفضى القضاة الماوردى ، ويأثم كل قادر على إزالتها أو على النهى عنها ، إذا لم يفعل ذلك . . .

قال الشافعى فى مختصر المزنى : ويحسن صوته بأى وجه كان ، قال : وأحب ما يقرأ حدرًا وتحزينًا . قال أهل اللغة : يقال حدرت بالقراءة إذا أدرجتها ولم تمططها ، ويقال فلان يقرأ بالتحزين إذا رقق صوته^(٢) .

(١) التبيان (٥٣) . (٢) نفس المرجع (٥٥ ، ٥٦) - ويقول ابن الجزرى (الفشر ج ١ ص ٢٠٥ : ٢٠٨) إن القرآن يقرأ بالتحقيق وبالهدس وبالتدوير - فالأول معناه المبالغة فى الإتيان بالشئ على حقه ، أى الإتيان بالحرف على وجهه بدون زيادة ولا نقص - والثانى معناه الإسراع فى القراءة بلا خلل فيها . والثالث وسط بينهما . وأما الترتيل فهو القراءة على مهل مع تفهم ، وهو الذى نزل به القرآن . اهـ ملخصاً .

ويستحب أن يختم القرآن كل أسبوع لحديث البخارى وأبى داود وغيرها « اقرأ القرآن فى كل سبع ولا تزد » ويكره تأخير ختمه أكثر من أربعين يوماً رواه أبوداود^(١).

ويستحب التكبير من أول سورة الضحى إلى أن يختم . وإذا ختم قرأ الفاتحة وخمس آيات من أول البقرة ويستحب تقبيل المصحف لأن عكرمة كان يقبله ولأنه هدية الله إلى عباده . ويحرم السفر به إلى أرض العدو خوف أن تناله أيديهم . ويستحب حضور مجلس الختم استحباباً متأكداً ؛ لأن الرحمة تنزل عند ختم القرآن ويستجاب الدعاء .

وقد ذكرنا والحمد لله فى أول صفحة من الكتاب ، بعض الأدعية التى كان الحسن البصرى وعبد الله بن المبارك رضى الله عنهما ، يدعوان بها عند ختم القرآن^(٢) . وينبغى أن يبدأ الدعاء ويختمه بقوله (الحمد لله رب العالمين حمداً يوافق نعمه ، ويكافئ مزيده . اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد) .

(١) صحيح البخارى (٦ - ٢٤٣) والبرهان (١ - ٤٧١) .
(٢) انظر ص (٣) من هذا الكتاب .

الفصل الرابع

تواتر القرآن الكريم

القرآن : هو ما نقل بين دفتي المصحف نقلا متواترا ، أو هو الكلام المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم للإعجاز والهداية، ومن قال بهذا الحد اشترط التواتر- كما قال ابن الحاجب - للقطع بأن العادة تقضى بالتواتر في تفاصيل مثله ، والقائلون بالأول لم يحتاجوا للعادة ، لأن التواتر عندهم جزء من الحد ، فلا تتصور ماهية القرآن إلا به - وحينئذ فلا بد من التواتر في كل ألفاظ القرآن عند جميع العلماء - صرح بذلك عدد لا يحصى ، كابن عبد البر وابن عطية وابن تيمية والنووي والسبكي والأسنوي والأذري والزركشي والدميري وابن الحاجب وابن عرفة والسيوطي وغيرهم .
وأما القراء فقد أجمعوا من أول الزمان على ذلك .

أركان التواتر : كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها : فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها ، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن ، سواء كانت عن الأئمة السبعة أو عن غيرهم . ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة ، أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة ، سواء كانت عن السبعة أو غيرهم .

« هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف ، صرح بذلك الداني ومكي والمهدوي وأبو شامة ، وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه » (١) .
وهذا الضابط نظمه صاحب الطيبة فقال :

وكل ما وافق وجه النجو وكان للرسم احتمالا يحوى

وصح إسنادا ، هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يختل ركن أثبت شدوذه لو أنه في السبعة

ولقد كان الاعتماد في نقل القرآن الكريم على الحفاظ ؛ ولذا فقد أرسل عثمان
رضي الله عنه مع كل مصحف من يقرئ الناس ، وقرأ أهل كل مصر بما في مصحفهم ،
وتلقوا ما فيه عن الصحابة ، ثم تجرد للأخذ عنهم قوم لم يختلف فيهم اثنان في صحة
روايتهم ودرايتهم ؛ وانشر بعدهم القراء وكثروا ، وخلفهم أمم بعد أمم ، وكان منهم
المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية ، ومنهم دون هذا . فقام عندئذ جهاذة الأمة
وميزوا بين الصحيح والباطل وعزوا الأوجه والروايات . فجزاهم الله خيرا .

طبقات القراء من الأوائل :

اشتهر كثير من الصحابة بأخذ القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم وإقرائه إلى من
بعدهم - واشتهر بالأخذ عنهم خلق من التابعين^(١) :
فكان (بالمدينة) ابن المسيب وعروة وسالم وعمر بن عبد العزيز وسليمان وعطاء
ابنا يسار ومعاذ بن الحارث المشهور بمعاذ القاريء وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج
وابن شهاب الزهري ومسلم بن جندب وزيد بن أسلم . وغيرهم .
ومن كان (بمكة) عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح وطاوس ومجاهد وعكرمة
وابن أبي مليكة .

ومن كان (بالكوفة) علقمة والأسود ومسروق وعمرو بن شرحبيل
وأبو عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي وعبيد بن فضالة .
ومن كان (بالبصرة) أبو العالية وأبورجاء ونصر بن عاصم ويحيى بن يعمر
والحسن وابن سيرين وقتادة .

(١) من الإثنان (١ - ٧٣) .

ومن كان (بالشام) المغيرة بن أبي شهاب الخزومي وخليفة بن سعد .
ومن تفرغ للقراءات يضبطونها حتى صاروا أئمة يرحل إليهم :
(بالمدينة) أبو جعفر بن التعمقاع ثم شيبدة بن نصاع ثم نافع بن نعيم .
و (بمكة) عبد الله بن كثير وحميد بن قيس الأعرج ومحمد بن أبي محيصن .
و (بالكوفة) يحيى بن وثاب وعاصم بن أبي النجود وسليمان بن الأعمش ثم حمزة
ثم السكسائي .

و (بالبصرة) عبد الله بن أبي إسحاق وعيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء وعاصم
الجحدري ثم يعقوب الحضرمي .

و (بالشام) عبد الله بن عامر وعظيمة بن قيس الكلابي وإسماعيل بن عبد الله
ابن المهاجر ثم يحيى بن الحارث الذماري ثم شريح بن يزيد الحضرمي .
واشتهر من هؤلاء في الآفاق الأئمة السبعة وهم : -

١ - نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني : أخذ القراءة عن أبي جعفر القاري
وعن سبعين من التابعين . وهم أخذوا عن ابن عباس وأبي هريرة عن أبي بن كعب
عن النبي صلى الله عليه وسلم - وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة المنورة (م سنة ١٦٩ هـ) ،
عن (٩٩ عاما) - وكان إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك ؛ لما رأى في منامه أن النبي
صلى الله عليه وسلم يقرأ في فيه - وكان رضى الله عنه أسود اللون حالكا^(١) .

٢ - عبد الله بن كثير الداري : كان إمام الناس في القراءة بمكة تحفه السكينة
والوقار . لقي عبد الله بن الزبير وأنس بن مالك وأبا أيوب الأنصاري . روى عن مجاهد
عن ابن عباس عن أبي عن الرسول صلى الله عليه وسلم . وقرأ على عبد الله بن السائب
الخبزومي ، توفي (سنة ١٢٠ هـ) عن (٧٥) عاما .

(١) النسر (١ - ١١٢) وانظر في ترجمة هؤلاء الأئمة (طبقات القراء) لابن الجزري .

٣ - أبو عمرو بن العلاء البصرى : كان من أعلم الناس بالقراءة مع صدق وأمانة وثقة في الدين . روى عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس . وأخذ عن التابعين : منهم أبو جعفر وزيد بن القعقاع والحسن البصرى . وقرأ الحسن على حطان وأبي العالية . عن عمر بن الخطاب . توفى (سنة ١٥٤ هـ) عن (٨٦) عاما .

٤ - عبد الله بن عامر : تابعى جليل لقي وائلة بن الأسقع والنعمان بن بشير . أخذ القراءة عن أبي الدرداء وأصحاب عثمان وعن المغيرة بن أبي شهاب الخزومى . وقيل إنه قرأ على عثمان نفسه . توفى بدمشق (سنة ١١٨ هـ) عن (٩٧) عاما .

٥ - عاصم بن أبي النجود الأسدى . كان قارئاً متقناً آية في الفصاحة وحسن الصوت بقراءة القرآن . قرأ على التابعين منهم زر بن حبیش عن ابن مسعود ، وأبو عبد الرحمن السامى عن الإمام على ، عن النبى صلى الله عليه وسلم . م (سنة ١٢٧) هـ بالكوفة .

٦ - حمزة بن حبيب الزيات الكوفى : قرأ على الأعمش ويحيى بن وثاب وزر بن حبیش ومنصور بن المعتمر والسبيعى وعاصم وغيرهم . عن عثمان وعلى وابن مسعود . كان ورعاً عالماً بالكتاب مجوداً له ، عارفاً بالفرائض والعربية ، حافظاً للحديث . توفى بجلوان (سنة ١٥٦ هـ) عن (٧٦) عاما .

٧ - أبو الحسن الكسائى النحوى : كان أعلم الناس بالنحو والغريب والقرآن . وكان يضطر لكثرة الناس عليه أن يجلس على الكرسي ويتلو القرآن من أوله إلى آخره وهم يسمعون ويضبطون عنه . أخذ عن حمزة وأبي بكر بن عياش . توفى (سنة ١٨٩ هـ) عن سبعين عاما .

ثم انتشرت القراءات في الأمصار ، وجاءت أمم بعد أمم ، واشتهر من رواة كل طريق من طرق السبعة راويان :

فعن نافع : قالون وورش عنه . وعن ابن كثير : قنبل والبهزى عن أصحابه عنه .

وعن أبي عمرو: الدُّورِي والسوسى عن اليزيد عنه . وعن ابن عامر : هشام وابن ذكوان عن أصحابه عنه . وعن عاصم أبو بكر بن عياش وحفص عنه . وعن حمزة : خلف وخلاد عن سليم عنه . وعن الكسائي . الدورِي وأبو الحارث .

ثم لما اتسع الخرق وكاد الباطل يلتبس بالحق ، قام جهابذة الأمة وبالغوا في الاجتهاد ، وجمعوا الحروف والقراءات ، وعزوا الوجوه والروايات وميزوا الصحيح والمشهور والشاذ بأصول أصولها وأركان فصولها .

فأول من ألف في القراءات ، أبو عبيد القاسم بن سلام . ثم أحمد بن جبير الكوفي . ثم إسماعيل بن إسحاق المالكي - صاحب قالون - ثم ابن جرير الطبري . ثم أبو بكر الدجوني . ثم أبو بكر مجاهد . ثم قام الناس في عصره وبعده بالتأليف في أنواعها . وأئمة القراءات لا تحصى .

وقد صنف في طبقاتهم حافظ الإسلام أبو عبد الله الذهبي . ثم حافظ القراء أبو الخير بن الجزري - وغيرهم كثير .

أنواع القراءات : ويحدثنا الإمام السيوطي ^(١) أن القراءات أنواع :

(النوع الأول) : المتواتر : وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه ، وهو ما اتفقت الطرق في نقله عن السبعة . وغالب القراءات كذلك .

(النوع الثاني) : المشهور : وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة المتواتر ، ووافق العربية والرسم ، واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ ، ويقرأ به - وهذا النوع اختلفت الطرق في نقله عن السبعة ، فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض ، وأمثله كثيرة في فرش الحروف من كتب القراءات ^(٢) ومن أشهرها التيسير للداني والنشر لابن الجزري .

(١) الإتيان (١ - ٧٧) .

(٢) هي جزئيات يقع الخلاف في قراءتها ولا يقاس عليها . كقراءة (يخذعون) في البقرة ، =

(النوع الثالث) الآحاد : وهو ما صح سنده وخالف^(١) الرسم أو^(٢) العربية ، أو^(٣) لم يشتهر الاشتهار المذكور، ولا يقرأ به، ومثاله ما أخرجه الحاكم عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ بفتح الفاء .

(النوع الرابع) الشاذ : وهو ما لم يصح سنده - كقراءة ابن السمين وأبي السمال وغيرها في (ننجيك ببدنك) : ننجيك : بالحاء المهملة (لتكون لمن خلفك) بفتح اللام الساكنة - وكالقراءة المنسوبة إلى أبي حنيفة - رحمه الله - التي جمعها أبو الفضل محمد ابن جعفر الخزاعي ، ونقلها عنه أبو القاسم الهذلي وغيره ؛ فإنها لا أصل لها ، قال أبو العلاء الواسطي : إن الخزاعي وضع كتاباً في الحروف ، نسبه إلى أبي حنيفة ، فأخذت خط الدارقطني وجماعة : إن الكتاب موضوع لا أصل له ؛ ومنه « إنما يخشى الله من عباده العلماء » برفع الهاء ونصب الهمزة - وإن أبا حنيفة لبريء منها^(٤) .

(النوع الخامس) : الموضوع كالقراءات التي نسبها الخزاعي إلى أبي حنيفة ومنه ما وافق العربية والرسم ولم ينقل ألبتة ، وهذا لا يصح أن يقرأ به لا في الصلاة ولا في خارجها « قال الإمام أبو طاهر بن أبي هاشم في كتابه (البيان) : وقد نبت نابت في عصرنا فزعم أن كل من صح عنده وجه في العربية بحرف من القرآن يوافق المصحف ، فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها ، فابتدع بدعة ضل بها عن قصد السبيل . قلت : وقد عقد له بسبب ذلك مجلس ببغداد ، حضره الفقهاء والقراء ، وأجمعوا على منعه ، وأوقف

= وقع فيها خلاف ، ومع هذا لا يقاس عليها (يخادعون) في النساء - بخلاف الأصول والقواعد فهي التي تدرج تحتها الجزئيات المتماثلة ، كقواعد الوقف والإدغام والمد والهمز . فلما راد هنا الاختلاف في الفعل عن السبعة . مثل قراءة حمزة « والأرحام » ، وسكنات حمص كلها ، « قتل أولادهم شركائهم » لابن عامر ، « بارئكم . يأمركم » لأبي عمرو ، « فهل عسيتم » لنافع ، « ليُجزَى قوماً » لأبي جعفر .

(١) لعل العبارة « ووافق » بدل (وخالف) . (٢) (٣) لعل العبارة « و » .

(٤) النشر (١ - ١٦) .

للضرب فتاب ورجع ، وكتب عليه بذلك محضر ، كما ذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد ، وأشارنا إليه في الطبقات ^(١) .

(النوع السادس) : ما يشبه المدرج من أنواع الحديث : وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير ، كقراءة سعد بن أبي وقاص « وله أخ أو أخت من أم » أخرجها سعيد بن منصور . وقراءة ابن عباس « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج » أخرجها البخاري . وقراءة الحسن « وإن منكم إلا واردها . الورود : الدخول » : قال ابن الأنباري « قوله الورود : الدخول تفسير من الحسن لمعنى الورود وغلط فيه بعض الرواة فأدخله في القرآن » اهـ عن الإتيان .

ولا خلاف أن كل ما هو من القرآن ، يجب أن يكون متواترا في أصله وأجزائه ، وكذلك في محله ووضعه وترتيبه ، عند المحققين من علماء أهل السنة ^(٢) . فإن العلم اليقيني حاصل أن العادة قاضية بأن مثل الكتاب العزيز ، متواتر في تفاصيله ؛ لأنه الكتاب الباقي المعجز ، أصل الدين القويم والصراط المستقيم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فمستحيل ألا يكون متواترا في ذلك كله ؛ إذ الدواعي تتوافر على نقله على جهة التواتر .

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ . . . ﴾ والبلاغ العام إنما هو بالمتواتر ، فما لم يتواتر مما نقل آحادا ، نقطع بأنه ليس من القرآن . وقال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ والحفظ إنما يتحقق بالتواتر .

ثم إن التواتر لو لم يشترط في جميع القرآن ؛ أصله وأجزائه ومحله ووضعه وترتيبه : لجاز سقوط كثير من القرآن المكرر ، وثبوت كثير مما ليس بقرآن : أما الأول فلأننا لو لم نشترط التواتر فيه وفي محله ، جاز ألا يتواتر كثير من المتكررات الواقعة في

(١) نفس المرجع (١-١٧) . (٢) انظر ص (١٧) إلى ص (٣٧) في الكلام على ترتيب

آيات القرآن وسوره . وقد علمنا أن الأصح في ترتيب السور أنه توقيفي ، وأما الآيات فباتفاق .

القرآن ، مثل ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ ، ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ ونحوهما .
وأما الثانى فلأنه إذا لم يتواتر بعض القرآن بحسب المحل جاز إثبات ذلك البعض فى الموضع
بنقل الأحاد .

وقال القاضى أبو بكر الباقلازى فى كتابه (الانتصار) : « ذهب قوم من الفقهاء
والمتمكلمين إلى إثبات قرآن حكماً لا علماً بنحو الواحد ، دون الاستفاضة ، وكره ذلك
أهل الحق ، وامتنعوا منه . . . »

وقد رد الله عنه طعن الطاعنين واختلاف الضالين ، وليس المعتبر فى العلم بصحة
النقل والقطع على فنونه بالأى يخالف فيه مخالف ، وإنما المعتبر فى ذلك مجيئه عن قوم بهم
يثبت التواتر ، وتقوم الحجة ، سواء اتفق على نقلهم أو اختلف فيه ؛ ولهذا لا يبطل النقل
إذا ظهر واستفاض واتفق عليه ، أو إذا حدث خلاف فى صحته لم يكن من قبل .

وبذلك يسقط اعتراض الملحدين فى القرآن ؛ وذلك دليل على صحة نقل القرآن
وحفظه وصيانته من التغيير ، ونقض مطاعن الرافضة فيه من دعوى الزيادة والنقص .
كيف وقد قال تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وقال ﴿ إن علينا جمعه
وقرآنه ﴾ وأجمعت الأمة أن المراد بذلك حفظه على المكلفين للعمل به وحراسته
من وجوه الغلط والتخليط ، وذلك يوجب القطع على صحة نقل مصحف الجماعة
وسلامته « (١) .

(١) البرهان فى علوم القرآن (٢ - ١٢٦ ، ١٢٧) .

بعض الشبهات وردھا

علمنا أن القرآن توفرت له عوامل نقله إلینا صحیحاً بدون تغییر ولا تبديل ، وهذا نقل خص الله تعالى به المسلمين ، دون سائر أهل الملل كلها ، وأبقاه عندهم غضاً جديداً على طول الزمان ، حتى يرث الله الأرض ومن علیها .

ومع هذا فنرى بعض الحاقدين على الإسلام ، حاسدي المسلمين على هذه المنة الجليلة والمحمدة العالية المجيدة ، نراهم يطعنون القرآن ، أملاً في بطلان نصه وخذلان أهله ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴾ . ﴿ بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾ . ﴿ قرآنا عربياً غير ذی عوج لعلمهم يتقون ﴾ .

وسنعرض بحول الله بعض هذه الطعون الواهية . وسنرى من وراء الجواب علیها أن القرآن الكريم ليس بالأمر البشري ، بل إنه وحى الله إلى عباده ﴿ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يحجب إليه من يشاء ويهدي إليه من ینیب ﴾ .

الشبهة الأولى :

قيل : إن البسمة ليست من القرآن ؛ لأنها لم تتواتر في أوائل السور ، وما لم يتواتر فليس بقرآن .

والجواب : بمنع كونها لم تتواتر ، فرب متواتر عند قوم دون آخرين ، وفي وقت دون آخر ، ويكفي في تواترها إثباتها في مصاحف الصحابة فمن بعدهم بخط المصحف ، مع منعهم أن يكتب في المصحف ما ليس منه ، كأسماء السور وآمين والأعشار ، فلو لم تكن قرآناً لما استجازوا إثباتها بخطه ، من غير تمييز ؛ لأن ذلك يحمل على اعتقادها قرآناً ، فيكونون مغررين بالمسلمين حاملين لهم على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآناً ، وهذا مما لا يجوز اعتقاده في الصحابة .

فإن قيل : لعلها أثبتت للفصل بين السور - أجيب : بأن هذا فيه تعبير ولا يجوز ارتكابه لمجرد الفصل ، ولو كانت له لسكتبت بين براءة والأنفال .

ويدل لسكونها قرآنا منزلا : ما أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين » الحديث ، وفيه « وعد بسم الله الرحمن الرحيم » آية ، ولم يعد « عليهم » . وأخرج أبو داود والحاكم والبيهقي والبزار من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم » زاد البزار « فإذا نزلت عرف أن السورة قد ختمت واستقبلت أو ابتدئت سورة أخرى وفي رواية أخرى عند الحاكم عن ابن عباس قال « كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السورة حتى تنزل بسم الله الرحيم ، فإذا نزلت علموا أن السورة قد انقضت » إسناده على شرط الشيخين^(١) . وعنده أيضاً عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا جاءه جبريل فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم علم أنها سورة » إسناده صحيح .

وعند مسلم عن أنس قال « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما ، فقال : أنزلت على آنفاء سورة ، فقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر » الحديث . إلى غير ذلك من الأحاديث .

فهذه الأحاديث تعطى التواتر المعنوي بكونها قرآنا منزلا في أوائل السور^(٢) .

الشبهة الثانية :

تمسك الملاحدة بشبهة أخرى تطعن في تواتر القرآن .

فيقولون : إن عثمان [رضى الله عنه] أحرق مصاحف الصحابة ، وقد كانت تختلف

(١) وقال الحافظ أبو شامة : هذا حديث حسن . فتح الباري (١٠ - ٤١٨) .

(٢) الإتيان (١ - ٧٩) وانظر ما ذكره من الأحاديث الكثيرة (١ - ٧٨ ، ٧٩) .

مع مصحفه زيادة ونقصاً وتقديماً وتأخيراً ، فكيف تقولون إن القرآن متواتر في جملته وأجزائه ، ووضعه وترتيبه ؟

والرد على هذه الشبهة يقتضينا المقام أن نتكلم على المصاحف بالتفصيل . فنقول وعلى الله قصد السبيل :

جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير من الصحابة ، وقد كتبه عليه الصلاة والسلام مفرقاً في العسب واللخاف والأقتاب . وقبض الله لجمعه الصديق رضى الله عنه ، ثم من بعده عثمان رضى الله عنه .

وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه أمر ابن عمرو أن يقرأه في ثلاث ليال^(١) ، ولا يمكن أن يكون مقروءاً في ثلاث إلا إذا كان معلوم الوضع والترتيب ، بتعليم منه صلى الله عليه وسلم .

وجمع الصحابة لم يكن إلا خوف ضياع شيء منه أو الشك في شيء ثبتت قرآنيته ؛ ولذا فقد جمعوه في مكان واحد وعلى حرف قريش وحده . ولقد كان عملهم هذا من أسباب حفظ القرآن ، وإلا فلو دخله شيء من التحريف أو التغيير أو التبديل أو الزيادة أو النقص ، لما كان القرآن محفوظاً ، وهذا يناقض الآية الكريمة ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ - إذن فعملهم هذا من باب النصيحة لكتاب الله ولهم فيه الأجر الجزيل ، ولهم في عنق كل مسلم ومسلمة منة ، وحسناتهم في ازدياد مستمر ما دام القرآن يتلى .

ويجب أن نعلم أن بعض الصحابة كان يكتب لنفسه خاصة حال حياته صلى الله عليه وسلم ، غير النسخة الرسمية التي كان يملئها صلى الله عليه وسلم على كتاب الوحي . ولقد كانت تحوى أحياناً منسوخ التلاوة وما لم يتواتر ، وربما لا يكتب فيها صاحبها ما تواتر أنه قرآن .

(١) انظر الحديث بتمامه في صحيح البخارى (٦ - ٢٤٢)

والسبب في هذا هو ما قاله الإمام النيسابوري في مقدمة تفسيره «وذلك أن الواحد منهم إذا حفظ سورة أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو كتبها ثم خرج في سرية فنزلت في وقت مغيبه سورة، فإنه كان إذا رجع يأخذ في حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابتها، ويتمتع ما فاته على حسب ما يتسهل له، فيقع فيما يكتبه تقديم وتأخير من هذا الوجه، وقد كان منهم من يعتمد على حفظه، فلا يكتب على ما كان من عادة العرب في حفظ أنسابها وأشعار شعرائها من غير كتابة، ومنهم من كان كتبها في مواضع مختلفة من قرطاس وكتف وعسب؛ ثقة منهم بما كانوا يعهدونه من جد المسلمين في حفظ القرآن، فلا يرون بأكثرهم حاجة إلى مصحف ينظر فيه»^(١).

وروى البخاري في كتاب العلم أن عمر قال «كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد - وهي من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته بنخب ذلك اليوم من الوحي وغيره وإذا نزل فعل مثل ذلك»^(٢). . . الحديث.

وقد ذكروا في مقام اختلاف المصاحف، مصاحف عدة: مثل مصحف عائشة وأم سلمة وحفصة وابن الزبير وأبي موسى الأشعري - بجانب مصحف ابن مسعود وأبي وعلى ابن أبي طالب - أما غير الثلاثة الأخيرة فلم يسجل فيها الخالف إلا كلمات يسيرة لا يستحق من أجلها أن يسمى مصحفا، وربما شعر التسمية بنوع من الاستقلال يجعل دائرة الخلاف عظيمة، وسفتكلم بإذن الله على الثلاثة الأخيرة فقط.

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ - ٢٤، ٢٥).

(٢) صحيح البخاري (١-٣٣).

مصنف عبد الله بن مسعود رضی الله عنه (١) :

(١) روى البخارى ومسلم عن شقيق بن سلامة قال « خطبنا عبد الله فقال : والله لقد أخذت من في رسول الله صلى عليه وسلم بضعا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنى من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم . قال شقيق: جلست في الحلقى أسمع ما يقولون ، فما سمعت راداً يقول غير ذلك » ووقع في رواية مسلم عن عبد الله قال « ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة . ثم قال : على قراءة من تأمرنى أن أقرأ؟ فلقد قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة . . » الحديث . وروى ابن أبى داود في فصل بعنوان [كراهية عبد الله بن مسعود ذلك] كثيراً من الآثار - ومنها هذا الأثر الذى خرجه الترمذى والنسائى والحاكم وأبو عوانة : « قال عبد الله : يا أهل الكوفة - أو يا أهل العراق - اكتبوا المصاحف التى عندكم وغلوها ، فإن الله يقول : ﴿ ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ﴾ فالتقوا الله بالمصاحف . قال الزهرى : - فبلغنى أن ذلك كرهه من مقالة ابن مسعود رجال أفاضل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم » (٢) .

(١) عبد الله بن مسعود أحد السابقين . هاجر المهجرتين ، وشهد الشاهد كلها ، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان صاحب النملين ، حدث عن النبي كثيراً وحدث عنه كثير من الصحابة والتابعين كالعبدلة وأنس وجابر وعلقمة ومسروق وزر بن حبيش . وذكر ابن إسحاق أنه أول من جهر بالقرآن في مكة ، وشهد بعد النبي صلى الله عليه وسلم فتوح الشام ، وسيره عمر لى الكوفة ليعلم أهلها أمور دينهم ، وأمره عثمان عليها ثم عزله فرجع إلى المدينة . وقال البخارى : مات قبل مقتل عمر ، وقال أبو نعيم وغيره : مات سنة ٣٢ [أو سنة ٣٣] بالمدينة وقيل بالكوفة . روى له السنة ثمانية وأربعين وثمانمائة حديث ، انفرد البخارى بواحد وعشرين ومسلم بنحو خمسة وثلاثين واتفقا على أربعة وستين . قال أبو موسى الأشعري « قدمت أنا وأخى من اليمن فكنتنا حينما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي صلى الله عليه وسلم » وقال علقمة « كان يشبه النبي صلى الله عليه وسلم في هديه ودله وسنته » وقال حذيفة « ما أعرف أحداً أقرب سمتا وهدايا ودلا بالنبي صلى الله عليه وسلم من ابن أم عبد » [عن الخلاصة للخزرجى ص ١٨١ ، الإصابة لابن حجر ج ٢ ص ٣٦٨ - ٣٧٠ ، صحيح البخارى ج ٥ ص ٣٥] .

(٢) البخارى (٦ - ٢٢٩) مسلم (١٦ - ١٦) المصاحف (١٤) فتح البارى (١٠ - ٤٢٣) ،

(٤٢٤) تفسير القرطبي (١ - ٥٣) .

ومراد ابن مسعود من غل المصاحف إخفاؤها لئلا تخرج فتحرق ، وكان قد رأى خلاف ما رأى عثمان ومن وافقه، في الاختصار على لغة واحدة، أو كان يريد أن تكون قراءته هي التي يعول عليها؛ لما له من مزية هي التي ذكرها، فلما فاتته ذلك اختار استمرار القراءة على ما كانت عليه .

وقد شق على ابن مسعود صرفه عن كتابة المصحف ، والمذر لعثمان أنه كتبه وعبد الله في الكوفة ، ولم يؤخر ما عزم عليه إلى أن يرسل إليه ويحضر ، وأيضاً فإن عثمان إنما أراد نسخ الصحف البكرية ويجعلها في مصحف ، وقد تولى زيد ذلك في عهد أبي بكر وكان كاتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ، فكانت له في ذلك أولية ليست لغيره (١) .

وأما عدم إنكار أحد منهم ما قال فهو صادق على من شاهدهم شقيق بالكوفة ، وهذا لا ينفى أن غيرهم كره ذلك ، كما جاء في رواية الزهري ولعله دفع مصحفه بعد ذلك ليحرق حينما بلغه كراهة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لذلك .

وقال النووي « إن الصحابة لم ينكروا قول ابن مسعود أنه أعلمهم ، والمراد أنه أعلمهم بكتاب الله . - كما صرح به - فلا يلزم منه أن يكون أعلم من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم بالسنة ، ولا يلزم من ذلك أيضاً أن يكون أفضل منهم عند الله تعالى ، فقد يكون واحد أعلم من آخر بباب من العلم أو بنوع ، والآخر أعلم من حيث الجملة . . » (٢) .

وبدل على فضيلة زيد بن ثابت في هذا الباب ، قول أبي عبد الرحمن السلمي - وكان يقرأ على عثمان ، فلما شغل بالخلافة دله على زيد بن ثابت - « فأقمت على زيد ثلاث عشرة سنة أقرأ عليه فيها القرآن ، فعرفت بذلك فضيلة زيد في ضبط القرآن ، وإقرار أمير المؤمنين عثمان بن عفان له بذلك » (٣) .

(١) فتح الباري (١٠ - ٣٩٤ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤) . (٢) شرح صحيح مسلم (١٦ - ١٧) .

(٣) مقدمة كتاب المبانى (٢٥) .

« وقد روى أن عبد الله رجع إلى قول عثمان وإلى رأى الجماعة ، وندم على ما قال ، واستحجى منه . فروى أبو وائل هذه القصة ، ثم قال عقيبه : إن عبد الله استحجى مما قال ، فقال : ما أنا بخيرهم ، ثم نزل عن المنبر »^(١) .

هذا . . . وقد كذب الألوسى الخبر من أساسه ، فقال « وما نقل عن ابن مسعود أنه قال لما أحرق مصحفه : لو ملكت كما ملكوا لصنعت بمصحفهم كما صنعوا بمصحفي : كذب ، كسوء معاملة عثمان معه ، التي يزعمها الشيعة ، حين أخذ المصحف منه »^(٢) الخ . وهذه الحادثة التي أشار إليها الألوسى رواها (الطبرسي) الشيعي ؛ حيث قال : إن ابن مسعود لم يدفع مصحفه ليحرق إلا بعد أن أدبه عثمان وكسر له ضلعين وأنه مات لهذا السبب^(٣) . ونسبها إلى كثير من علماء المسلمين ، ومثل بالشهرستاني في الملل والنحل حاكياً عن النظام .

ونقول : (١) إن النظام من الخارجين على جمهور العلماء عند الشهرستاني وحكم ابن حزم بكفره^(٤) .

(ب) ثم إن (الطبرسي) لم يكن أميناً في النقل عن الشهرستاني ، وهذه خيانة وتدليس وتلبيس منه ؛ يقول الشهرستاني عند كلامه على طوائف المعتزلة إن النظام قد انفرد عن أصحابه بمسائل ، وفي المسألة الحادية عشرة يقول « ميله إلى الرفض ووقيعته في كبار الصحابة ، قال أولاً : لا إمامة إلا بالنص والتعيين ظاهراً مكشوفاً » إلى أن يقول « ثم وقع في أمير المؤمنين عثمان ضربه عبد الله بن مسعود على إحضار المصحف وعلى القول الذي شاقه به »^(٥) . الخ .

والحاصل : أن هذه الروايات لا تطعن في تواتر القرآن ولا في تواتر ما جاء في المصحف العثماني ، لأنه على التسليم بأن ابن مسعود لم يحرق مصحفه ، فإنه ليس من شرط

(٢) روح المعاني (١ - ٢٣) .

(١) نفس المرجع (٩٥) .

(٣) انظر فصل الخطاب للطبرسي (١١٣ ، ١٣١) . (٤) المنتقى من منهاج الاعتدال (٣٩٤) .

(٥) الملل والنحل (١ - ٥٩ ، ٦٠) .

التواتر أن يحرق ابن مسعود مصحفه ؛ إذ أن التواتر يتحقق برواية جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب ، ولم يقل أحد إن من شرط التواتر ألا يخالف فيه مخالف ، على أن ذلك كان أول الأمر ثم رجع إلى رأى الجماعة .

(٢) روى الشيخان والترمذى وأحمد عن علقمة قال : « دخلت الشام فصليت ركعتين ، فقلت اللهم يسر لى جليسا ، فرأيت شيخاً مقبلاً ، فلما دنا قلت : أرجو أن يكون استجاب ، قال : من أين أنت ؟ قلت : من الكوفة ، قال : أفلم يكن فيكم صاحب النعلين والوساد والمطهرة ؟ أو لم يكن فيكم الذى أجير من الشيطان ؟ أو لم يكن فيكم صاحب السر الذى لا يعلمه غيره ؟ كيف قرأ ابن أم عبد والليل ؟ فقرأت ﴿ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنتى ﴾ قال : أقرأنيها النبى صلى الله عليه وسلم فاه إلى فى ، فما زال هؤلاء حتى كادوا يردونى » وعند مسلم « عن علقمة قال قدمنا الشام فأتانا أبو الدرداء » وفيه « قال : وأنا والله هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها »^(١) وروى البخارى والنسائى وأحمد والبزار وغيرهم عن زر بن حبيش قال : « سألت أبا بن كعب قلت : يا أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا ، فقال أبى : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : قيل لى ، فقلت : قال ، فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » وفى رواية أخرى « سألت أبى بن كعب عن المعوذتين » . . الحديث - وفى زوائد عبد الله عن عبد الرحمن بن يزيد قال : « كان عبد الله يحك المعوذتين من مصاحفه ، ويقول : إنهما ليستا من كتاب الله تبارك وتعالى » . قال الهيثمى : رجال عبد الله رجال الصحيح . ثم خرجه عن الطبرانى وقال : رجال الطبرانى ثقات . وعند أحمد أيضاً « عن زر بن حبيش قال : قلت لأبى : إن أخاك يحكمهما من المصحف ، فلم ينكر ، قيل لسفيان : ابن مسعود ؟ قال : نعم ، وليس فى مصحف ابن مسعود ، كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ بهما الحسن والحسين ، ولم يسمعه

(١) البخارى (٥-٣٥) ومسلم (٦-١٠٩ ، ١١٠) والفتح الربانى (١٨-٤٥ ، ٤٦) .

يقرؤهما في شيء من صلواته، فظن أنهما عوذتان، فأصر على ظنه، وتحقق الباقر كونهما من القرآن فأودعوهما إياه»^(١).

(١) أما قراءة « والذكر والأنثى » : فهي لم تنقل إلا عن ذكرها هنا، وهم كما يؤخذ من مجموع الأحاديث ابن مسعود وعلقمة وأبو الدرداء. ولعل هذا مما نسخت تلاوته ولم يبلغهم النسخ - والعجب أن حفظة الكوفة ينقلون هذه القراءة عن علقمة وابن مسعود وإليهما تنتهي قراءتهم، ثم لم يقرأ بها أحد منهم، وكذا أهل الشام حملوا القراءة عن أبي الدرداء ولم يقرأ بها أحد منهم، وهذا مما يؤيد أن القراءة بها قد نسخت^(٢). ولعل ابن مسعود لم يبلغه النسخ؛ فلذا أصر على ما تلقاه أولاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

على أن حمزة وعاصم والكسائي يروون عن عبد الله ما عليه جماعة المسلمين « والبناء على سنيين يوافقان الإجماع أولى من الأخذ بواحد يخالفه الإجماع والأمة، وما بيني على رواية واحد إذا حاذاه رواية جماعة تخالفه، أخذ برواية الجماعة، وأبطل نقل الواحد؛ لما يجوز عليه من النسيان والإغفال»^(٣) . . الخ .

(ب) وكلام القرطبي هذا يصدق على حديث المعوذتين أيضاً، خاصة وأن الحديث صحيح، خلافاً لما قال الفخر الرازي في تفسيره، وابن حزم في المحلى، والنووي في شرح المذهب، من أن النقل عن ابن مسعود باطل وهو موضوع عليه^(٤) - فإن الرواية في الصحيح. وأفاد ابن حجر والقسطلاني: أن المعوذتين تواترتا في عصر ابن مسعود واسكنهما لم تتواترا عنده، « ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة »، « وفي الإجماع على كونهما من القرآن غنية عن تكلف الأسانيد بأخبار الآحاد»^(٥).

(١) صحيح البخارى (٦ - ٢٢٣) الفتح الربانى (١٨ - ٣٥١) مجمع الزوائد (٧ - ١٤٩).

(٢) فتح البارى (٨ - ٥٧٥) . (٣) عن الجامع لأحكام القرآن (٢٠ - ٨١) .

(٤) انظر مفاتيح الغيب (١ - ١١٢) والبرهان (٢ - ١٢٨) .

(٥) فتح البارى (١٠ - ٣٧٥) والفتح الربانى (١٨ - ٣٥١) .

هذا هو الجواب الذى يطمئن إليه القلب ، وأن ابن مسعود كان ينكر قرآنيتهما عندما لم يبلغه تواترها ، ولما بلغه هذا رجع عن رأيه ، خاصة بعد إجماع الصحابة ، وبعيد أن يجمع الصحابة وفيهم الخلفاء الراشدون على أمر وابن مسعود لا ينضم إليهم ، وقد ثبتت قراءة عاصم وحزمة والكسائى عنه رضى الله عنه ، وفيها المعوذتان .

ويمكن أن نضيف أيضاً : أن ابن مسعود لم يكتب المعوذتين فى مصحفه وكان يحكمهما منه ؛ اتسكالا على شهرتهما وعدم الخوف عليهما من النسيان ، وكان يظن أن القرآن يكتب منه ما يخاف عليه من النسيان - قال المازرى : «اعتقد أنه لا يلزمه كتب كل القرآن ، وكتب ما سواها ، وتركهما لشهرتهما عنده ، وعند الناس» (١) .

(٣) ثم نقول :

إن فى كتب التفسير قراءات تنسب إلى ابن مسعود . وذلك مثل « ووصى ربك » بدل « وقضى ربك » . . . « فوسوس لها الشيطان » بدل « فأزلها الشيطان » من سورة البقرة ونحوها .

ونزد على هذه القراءات وما ماثلها جملة : بأن ما صح نقله عن الأحاد لا يقرأ به ؛ لأنه لم يؤخذ بإجماع ، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد ؛ ولأنه لما نقل مخالفا للإجماع صار غير مقطوع بصحته ، والعلماء على أن هذه القراءات لم يثبت نقلها ، فهى منسوخة بالعرضة الأخيرة ، أو بإجماع الصحابة على المصحف العثمانى ، أو أنها لم تنقل على أنها قرآن (٢) .

« وأما من يقول : إن بعض الصحابة كابن مسعود كان يميز القراءة بالمعنى ، فقد كذب عليه ، إنما قال : نظرت فى القراءات فوجدتهم متقاربين ، فأقرأوا كما علمتم نعم كانوا يدخلون التفسير فى القراءة إيضاحاً وبياناً ، لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم قرآناً ، فهم آمنون من الالتباس ؛ وربما كان بعضهم يكتبه معه ولكن

(١) شرح النووى على مسلم (٦-١٠٩) . (٢) النشر فى القراءات العشر (١-١٤) .

ابن مسعود رضى الله عنه كان يكره ذلك ويمنع منه»^(١). «وعن أبي الزعراء قال : قال عبد الله : جردوا القرآن ولا تلبسوا به شيئاً»^(٢).

ونقول في آية البقرة ما قاله فيها أبو حيان : « وهذه القراءة مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه ، فينبغى أن يجعل تفسيراً ، وكذا ما ورد عنه وعن غيره مما خالف سواد المصحف ، وأكثر قراءات عبد الله إنما تنسب للشيعة ، وقد قال بعض علمائنا : إنه صح عندنا بالتواتر قراءة عبد الله على غير ما ينقل عنه مما وافق السواد ، فتلك إمامي آحاد ، وذلك على تقدير صحتها ؛ فلا تعارض ما ثبت بالتواتر »^(٣).

وفي آية الإسراء يقول : « وينبغى أن يحمل ذلك على التفسير ؛ لأنها قراءة مخالفة لسواد المصحف ، والمتواتر هو « وقضى » وهو المستفيض عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهم في أسانيد السبعة »^(٤).

ثم إننا لا نقطع أنها نقلت عنه نقلاً صحيحاً ؛ يقول الإمام مالك : القراءة التي تنسب إلى ابن مسعود « ولم يقل « قراءة ابن مسعود » والشئ قد ينسب إلى الإنسان وهو غير صحيح عنه .

ولذلك قال إسماعيل القاضي « ماروى من قراءة ابن مسعود وغيره - يعنى مما يخالف خط المصحف - ليس ينبغى لأحد أن يقرأ به اليوم ؛ لأن الناس لا يعلمون علم اليقين أنها قراءة ابن مسعود ، وإنما هو شئ يرويه بعض من يحمل الحديث ، ولا يجوز أن يعدل عن اليقين إلى ما لا يعلم يقينه »^(٥).

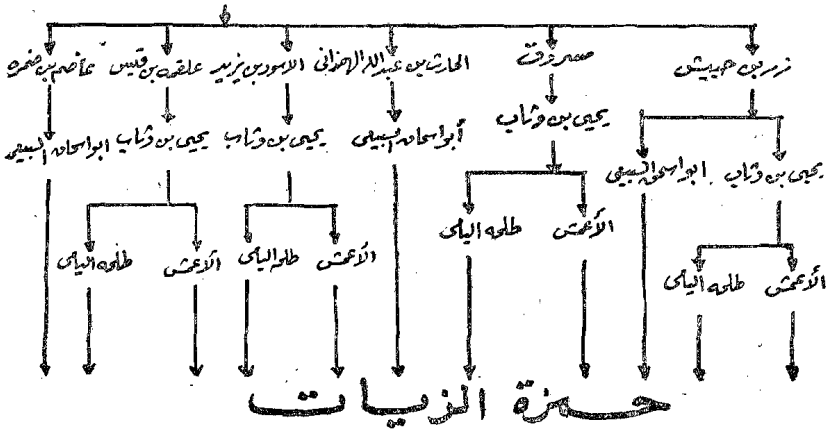
وبعد . . .

فها كم الكوفيون ، هل نجد عندهم شيئاً مما نسب إلى ابن مسعود رضى الله عنه ؟ إن ابن مسعود توافق قراءته قراءة العامة . وإليك بيان سند قراءته .

(١) نفس المرجع (١ - ٣٢) . (٢) المصاحف (١٣٩) . (٣) البحر المحيط (١ - ١٦١) .
(٤) نفس المرجع (٦ - ٢٥) . (٥) الإبانة عن معانى القراءات (٥٧) .

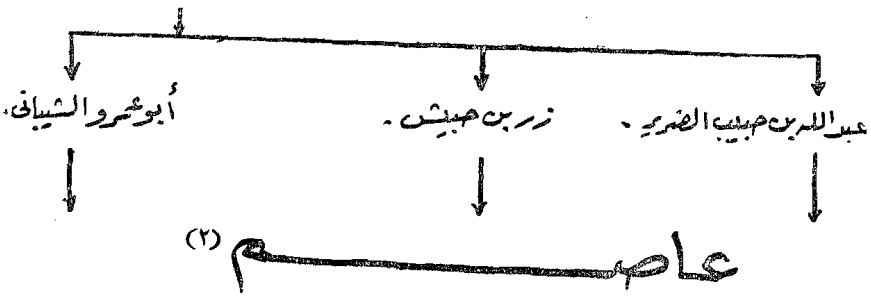
أخذ ابن مسعود رضى الله عنه القراءة عن الرسول صلى الله عليه وسلم - وعن

ابن مسعود أخذ :



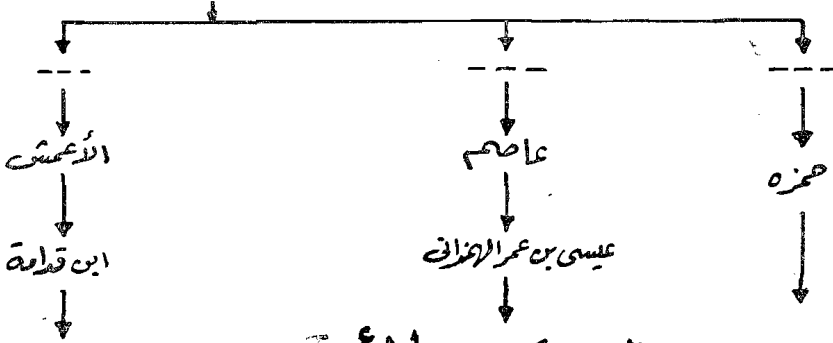
(١)

وقد أخذ ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم - وعن ابن مسعود أخذ :



(٢)

وقد أخذ ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم . وعن ابن مسعود أخذ :



(١)

هذا ... وأرجو أن يكون هذا العرض لمصحف ابن مسعود قد وضع الحقيقة فيه، وأن القرآن الكريم متواتر في كله وأبعاضه ووضعته وترتيبه - وبالله التوفيق.

مصحف أبي بن كعب رضى الله عنه^(١) :

ذكر السيوطى أن مصحف أبى فيه الحمد أولاً ثم البقرة ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام ثم الأعراف ثم المائدة ثم يونس .. وهكذا على خلاف فى الترتيب مع مصحف عثمان ، ويثبت سورة الزمر وفى أولها (حم) ، ويجعلها بين الإسراء وطه ، وأثبت أيضاً سورتي الخلع والخفد بين العصر والهمزة ، وجعل سورة قريش مستقلة عن الفيل ، فجموع السور عنده مائة وست عشرة سورة ، ويذكر السيوطى نقلاً عن السخاوى عن جعفر الصادق وأبى نهيك : أنها خمس عشرة سورة بعد المائة ؛ فإن الفيل وقريشا عنده سورة واحدة .

قال : وهو الصواب^(٢) .

وروى عنه أنه كان يقرأ حروفا ليست موجودة فى المصحف العثمانى ؛ من ذلك مارواه الإمام أحمد عن أبى بن كعب قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تبارك وتعالى أمرنى أن أقرأ عليك القرآن ، قال فقرأ ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ قال : فقرأ فيها : ولو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه لسأل ثانيا ، فأعطيه لسأل ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب ، وإن ذلك الدين القيم عند الله الحنيفية غير المشركة ، ولا اليهودية ولا النصرانية ،

(١) أبى بن كعب الأنصارى الحزرجى : كاتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، روى الشيخان وغيرهما عن أنس عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بن كعب : إن الله أمرنى أن أقرأ عليك ﴿ لم يكن الذين كفروا ﴾ قال : وسماى ؟ قال نعم ، قال فسكى » وشهد للمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن ابن سيرين أن عثمان جمع اثني عشر رجلا من قريش والأنصار فيهم أبى ابن كعب وزيد بن ثابت فى جمع القرآن . وكان يختم القرآن فى ثمان . وقال لعمر : مالك لا تستعملنى ؟ قال : أكره أن يدنس دينك . له أربعة وستون ومائة حديث ، المتفق عليه منها ثلاثة ، وانفرد البخارى بأربعة ، ومسلم بسبعة . وروى عنه خلق من الصحابة والتابعين . توفى سنة عشرين أو بعدها على خلاف كبير [مسلم بشرح النووي ١٦ - ٢٠ ، البخارى ٥ - ٤٥ ، الطبقات الكبرى ٣ - ٥٩ : ٦٢ ، خلاصة الحزرجى ٢١] . (٢) الإتيان (١ - ٦٤ ، ٦٥) .

ومن يفعل خيراً فلن يكفره» وفي رواية الحاكم - وصححها وأقرها الذهبي^(١) -
« لو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه يسأل ثانيا ، ولو سأل ثانيا فأعطيه
يسأل ثالثا » .

ومن زوائد عبد الله ، ورواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي ، وكذا عند النسائي :
عن زر بن حبیش عن أبي « قال : قال لى أبي بن كعب : كآين تقرأ سورة الأحزاب -
أو كآين تعدها ؟ قال : قلت ثلاثا وسبعين آية ، فقال : قط ، لقد رأيتها وإنها لتعادل
سورة البقرة ، ولقد قرأنا فيها : « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها ألبته نكالا من
الله والله عليم حكيم » . وعزاه ابن كثير للإمام أحمد وحسن إسناده .
وكذلك يروى عنه أنه قرأ « إن الساعة آتية أكاد أخفيها من نفسى فكيف
أظهركم عليها » بزيادة : « من نفسى فكيف أظهركم عليها »^(٢) .
وأقول :

١ - بجانب اختلاف الترتيب المذكور فى المصحف المنسوب إليه رضى الله عنه ،
فإن عددها مضطرب اضطرابا عظيما ، خصوصا لو قارنا بين كلام صاحب الإتيان وصاحب
الفهرست ؛ فلقد ذكر صاحب الفهرست أنها ست عشرة ومائة سورة ، ولكنها فى العد
لم تتجاوز اثنتين ومائة مع تكرار بعض السور وإسقاط البعض الآخر ؛ فلقد عد (حم
تنزيل) وهى تصدق على غافر وفصلت والجمالية والأحقاف ، وقد عين الأولى والثانية
والرابعة فلزم صرفها إلى الجمالية . وأيضا فقد ذكر من السور « عبس وهى أهل الكتاب
لم يكن أول ما كان الذين كفروا » ولا ندرى أى قصد سورة أو سورتين ، وحتى هذا
لا يمكن لتحريف العبارة . وأيضا عده « لا أقسم » وهى تصدق على القيامة والبلد ،
ولم يعين واحدة منهما . وأيضا عده « النبى » وهى يمكن أن تطلق على الطلاق والتحرير ،

(١) الفتح الرباني (١٨ - ٦٠) . (٢) الفتح الرباني (١٨ - ٥٨ ، ٦٠) وتفسير ابن كثير

(٣ - ٤٦٥) والبحر المحيط (٦ - ٢٣٣) ومختصر فى شواذ القراءات (٨٧) .

فهما سورتان لا واحدة . وأيضاً فقد عد سورة « عبس » مرتين^(١) . أما في الإتيان : فإن عدد السور فيه مائة وعشر ، وقد سقط منه سور « إبراهيم والفرقان والصفات وفصلت والإنسان والبروج » . ونلاحظ أن السور الساقطة هنا مذكورة في الفهرست ، كما أن الساقط في الفهرست مذکور في الإتيان . فقد تعارضت الروايتان فتساقطتا ، خاصة إذا علمنا أن هذين الكتابين هما اللذان يمكن الاعتماد عليهما في عد سور مصحف أبي .

٢ — وأما سورة الخلع والحفد عنده: فها هما الإدعاء القنوت عند الحنفية والمالكية، على اختلاف يسير في الألفاظ عندهما ، ولم تقم حجة على أنهما قرآن منزل ، ولو كانا كذلك لنقل إلينا بطريق التواتر وحصل العلم بصحته ، ولا يصح القول بأنه كان قرآناً ثم نسخ وأبيح الدعاء به ؛ لأنه لم ينقل هكذا ؛ إذ المنقول أنه أثبتته في مصحفه ، وقد كان رضى الله عنه يكتب في مصحفه الأدعية والتفسير .

وأما ما أخرجه البيهقي من طريق سفيان الثوري « أن عمر بن الخطاب قنت بعد الركوع ، فقال بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك . . . » الخ وما ذكره المنارى في كتابه (الناسخ والمنسوخ) : « ومما رفع رسمه من القرآن ولم يرفع من القلوب حفظه : سورتا القنوت في الوتر وتسمى سورتى الخلع والحفد »^(٢) : فإن الحديث لم يخرج في أحد الكتب التي التزم أصحابها بالصحة . ثم إن قوله « قنت » ، « بعد الركوع » ، « القنوت في الوتر » دليل لنا ، وأما ذكر البسمة فلأنها مطلوبة في كل أمر ذى بال ، سواء كان قرآناً أو غيره ، على أن هذه الجمل ليس فيها شيء من جمال القرآن البياني الذى يأخذ بالقلوب ويسحر الأفتدة ، يعرف ذلك أصحاب الذوق والمعرفة ، فوق هذا فإن اختلاف صورته باختلاف الروايات يدل على تصرف الرواة فيه وأنه مروى بالمعنى ، ويمكن أن يكون قد كتبه

(١) الفهرست (٤٠ ، ٤١) . (٢) الإتيان (١ - ٦٥) ، (٢ - ٢٦) .

في مصحفه على أنه قنوت ليحفظه فظن بعض الرواة أنه من المصحف فأدرجه فيه ، أو يكون قد اشبهه أمره على أبيّ ثم رجع عنه لما رأى الحق مع جماعة الصحابة .
وكيف نظن بأبي مخالفتهم وقد كان له قدم في الجمع البكري والعماني ، فقد أشركه أبو بكر في الجمع الأول « فكان رجال يكتبون ويملى عليهم أبيّ بن كعب »^(١) . وكذلك جمع عثمان اثني عشر رجلا من قريش والأنصار؛ لكتابة المصحف وفيهم أبي بن كعب^(٢) .
والحاصل أن أبيّا قد اشترك في جمع القرآن في المرتين ، وهذا دليل على أنه لم يخالف المصحف العماني ، فهو ممن أجمعوا عليه ، وإن صح أنه كان له مصحف فقد أحرق مع المصاحف .

وهذا الرد يتوجه لكل ما روى عن مصحفه ، ثم يفصل رد لكل نص بخصوصه :
٣ - فما روى عنه أن سورة الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة ، وكان فيها آية الرجم ، وهذا الأثر وإن حسنه ابن كثير لكنه قال فيه « وهو يقتضى أنه قد كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه وحكمه »^(٣) ، إذن فهذا مما نسخ في العرصة الأخيرة التي يوافقها مصحف عثمان المجمع عليه ، وقد كان بعض الصحابة قرأوا أشياء من القرآن فنسخت تلاوتها وبقي حكمها وقد لا يبقى .

والنبي صلى الله عليه وسلم لم يترك إلا ما بين الدفتين^(٤) . روى البخاري عن أبي جحيفة قال : « قلت لعلي : هل عندكم كتاب ؟ قال لا ، إلا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفة قال : قلت فما في هذه الصحيفة ؟ « قال العقل وفكك الأسير وألا يقتل مسلم بكافر »^(٥) . وروى أيضاً أن شداد بن معقل سأل ابن عباس « أتترك النبي صلى الله عليه وسلم من شيء ؟ قال : ما ترك إلا ما بين الدفتين »^(٦) الخ .

(١) من زوائد عبد الله (الفتح الرباني ١٨ - ٣٢) والمصاحف (٩ ، ٣٠) .

(٢) المصاحف (٢٥) والطبقات الكبرى (٣ - ٦٠) . (٣) تفسير ابن كثير (٣ - ٤٦٥) .

(٤) انظر فتح الباري (١٠ - ٤٤١ ، ٤٤٢) (٥) صحيح البخاري (١ - ٣٨) .

(٦) صحيح البخاري (٦ - ٢٣٤) .

٤ - وأما ما روى عنه من قراءة آيات بعينها مما يخالف المصحف العثماني ، نحو « أكاد أخفيها - من نفسي فكيف أظهركم عليها » فقد قيل في معناها « أكاد أخفيها من نفسي ، ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ، ومحذوف لا دليل عليه مطرح ، والذي غرهم منه أن في مصحف أبي : « أكاد أخفيها من نفسي »^(١) . إذن فهي تفسير ، وإن رواها الزخشرى على صيغة التضعيف .

ويذكر عبد الله بن أبي داود - وهو الذي أكثر من ذكر قراءات الصحابة في الآيات - يذكر قراءة أبيّ في بعض الآيات ثم يقول « لا نرى أن نقرأ القرآن إلا لمصحف عثمان الذي اجتمع عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن قرأ إنسان بخلافه في الصلاة أمرته بالإعادة »^(٢) .

ولا يشكل على هذا ما رواه البخاري عن عمر قال « أبي أقرؤنا ، وإنا لندع من لحن أبيّ ، وأبيّ يقول أخذته من في رسول الله فلا أتركه لشيء ؛ قال الله تعالى ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ ... فإنه يحمل في طياته تاريخه ، فقد كان ذلك في الجمع البكري ، وقد عبر فيه أبيّ عن رأيه فيما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبي لا يرجع عما حفظه من القرآن ، الذي تلقاه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولو أخبره غيره أن تلاوته نسخت ، والصحابة عرفوا ذلك ولم يعلم به أبيّ ، وقد استدلل عليه عمر بالآية الدالة على النسخ ، وهي من أوضح الاستدلال في ذلك^(٣) .

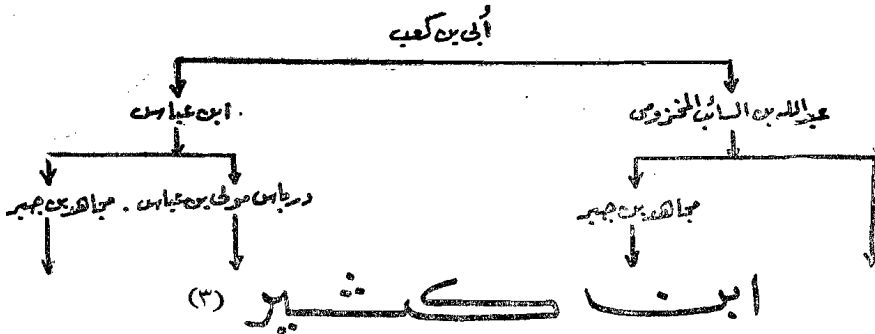
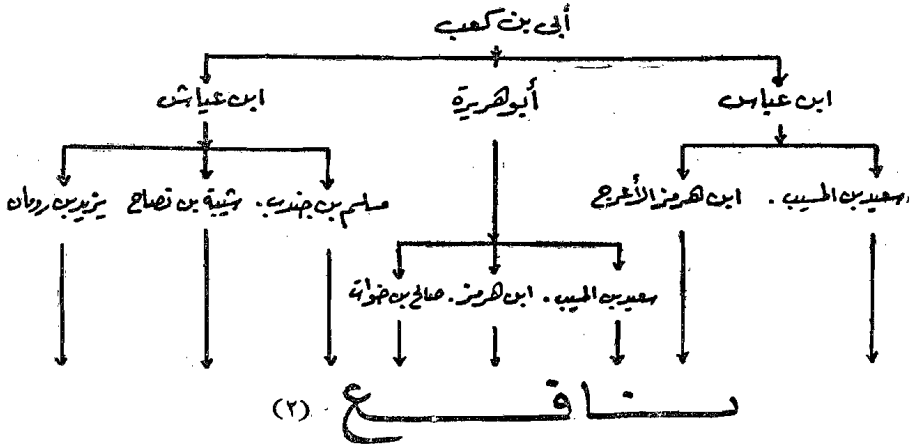
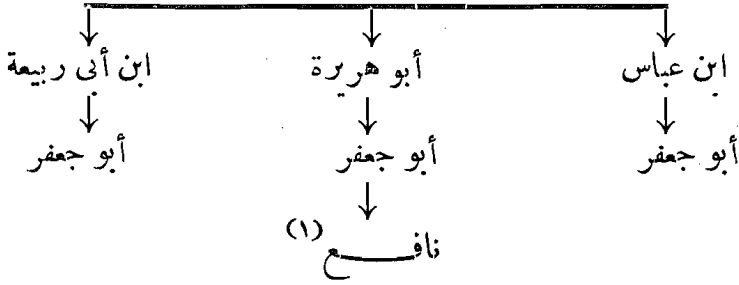
والحاصل : أن أبيّاً رجع عن رأيه إلى ما عليه إجماع الصحابة ، ولا يجوز أن يضاف إليه أو إلى أحد الصحابة تغيير حرف من كتاب الله ، أو قراءته على خلاف الرسم الموجود في مصحف الجماعة بأخبار الأحاد ، ولا يصح أن يضاف إلى أدنى المؤمنين فضلاً عن أبيّ .

(١) الكشاف (٢ - ٢١) . (٢) المصاحف (٥٣ ، ٥٤) .

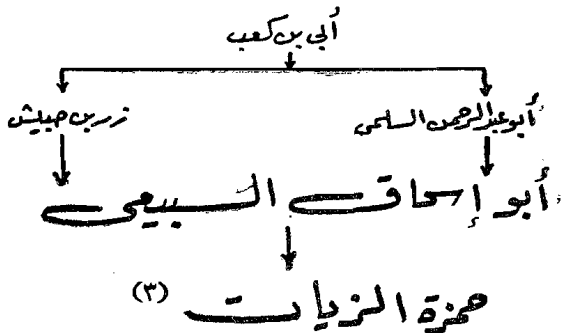
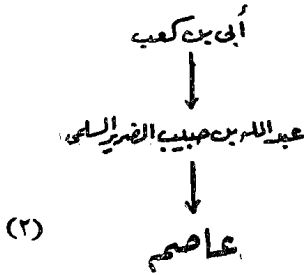
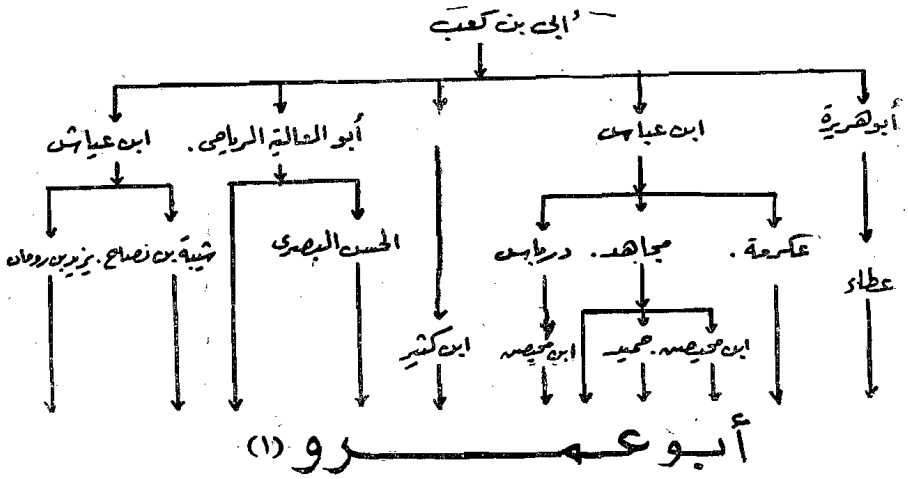
(٣) فتح الباري (١٠ - ٤٣٠) بتصرف .

وبعد :

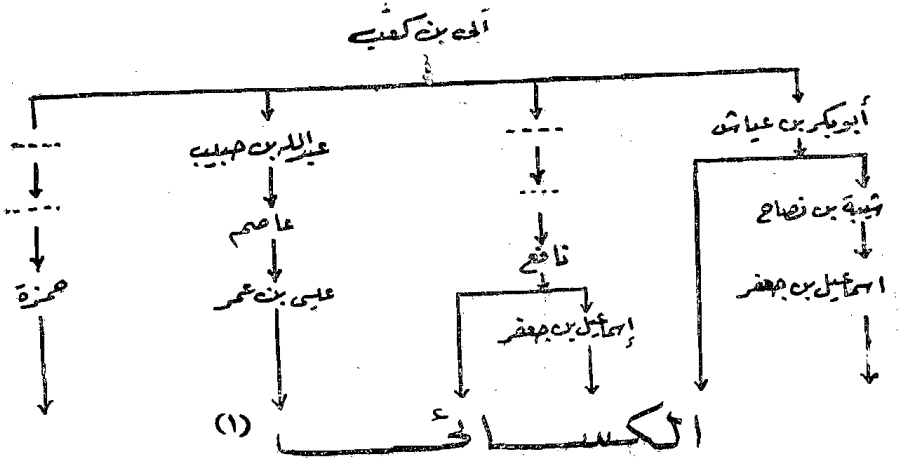
فقد كان هذا ما يتعلق ببحث المروي في ذاته، أما البحث في الإسناد فإن قراءته المرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلتنا من ستة طرق من السبعة وهي بالتفصيل :
فلقد أخذ أبي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعنه أخذ :



(١) النشر (١ - ١٧٨) . (٢) النشر (١ - ١١٢) والتهذيب (٨) .
(٣) النشر (١ - ١٢٠) والتهذيب (٨) .



(١) النشر (١ - ١٣٣) والتيسير (٨) . (٢) النشر (١ - ١٥٥) والتيسير (٩) .
 (٣) النشر (١ - ١٦٥) .



وكذلك رويت قراءته في العشرة ، عند أبي جعفر - كما سبق في الجدول الأول^(٢) .
 وأيضاً عند خلف عن الكسائي بطريقة^(٣) .

من هذا العرض رأينا أن أبي بن كعب كأخيه عبدالله بن مسعود : رويت قراءتهما في المتواتر ، الذي عليه سواد الناس ، ولم يشذ واحد منهما ، كما يدعى المستشرقون ومن جازاهم^(٤) . والله أعلم .

(١) النشر (١ - ١٧٢) . (٢) النشر (١ - ١٧٨) . (٣) النشر (١ - ١٩١) -

(٤) انظر مثلاً ، مذاهب التفهيم الإسلامي (١٦)

مصحف علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(١)

سوف نتناول الحديث عن المصحف المنسوب إلى الإمام علي من ناحيتين :

١ - بعض القراءات في آيات بعينها رويت عنه .

٢ - دعوى الشيعة أن المصحف الموجود اليوم محرف ، وأن المصحف الصحيح

محبوب يتوارثه أئمتهم وسيظهرونه يوما ما .

١ - أما عن الناحية الأولى :

فقد نقلت آيات تقرأ على أنها من قراءة علي رضي الله عنه ، وهي لا تخرج عن كونها

تفسيرية ، وقد توافق الرسم أحيانا ، وذلك مثل قراءته في ﴿ ننجي الذين اتقوا ﴾ : قال

أبو حيان « وقرأ علي ننحي - بحاء مهمله - مضارع نحى »^(٢) وهذه لم ترد في العشر^(٣) .

فلا نعتبرها متواترة مع أن الرسم يحتملها ؛ إذ المدار على التلقى والسماع .

ومن القراءات التي تعتبر من قبيل التفسير : ما حكاه أبو حيان بصيغة التمريض ،

(١) علي بن أبي طالب : ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أول من أسلم بعد خديجة ، وكانت

سنه آنذاك تسع سنين يكنى أبا تراب . وأمه فاطمة أول هاشمية ولدت هاشميا . ختن رسول الله صلى الله

عليه وسلم على بنته . أبو الحسن والحسين . شهد المشاهد إلا تبوك ، فقد خلفه رسول الله صلى الله عليه

وسلم على أهله . فقال يارسول الله تحلفني في النساء والصبيان ؟ فقال « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة

هارون من موسى ؟ غير أنه لا نبي بعدي » رواه مسلم ، ورواية البخاري بدون « غير أنه لا نبي بعدي » .

وقال صلى الله عليه وسلم يوم خيبر « لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فتطاولنا

لها ، فقال ادعوا لي عليا ، فأتى به أرمده ، فبصق في عينه ، ودفع الراية إليه ، ففتح الله عليه » . ولما

نزلت هذه الآية « فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا

وحسينا ، فقال « اللهم هؤلاء أهلي » رواه الشيخان واللفظ لمسلم . استشهد ليلة الجمعة لإحدى عشرة

ليلة خلت أو بقيت من رمضان سنة أربعين ، وهو حينئذ أفضل من علي وجه الأرض . له عند الستة ست

وثمانون وخمسمائة حديث . اتفق البخاري ومسلم على عشرين . وانفرد البخاري بتسعة . ومسلم بخمسة

عشر . [الطبقات الكبرى (٣ - ١٣ : ١٥) . صحيح البخاري (٥ - ٢٤) ، وشرح النووي

على صحيح مسلم (١٥ - ١٧٥ ، ١٧٦) ، الخلاصة (١٣٢)] .

(٢) البحر المحيط (٦ - ٢١٠) . (٣) انظر النشر (٢ - ٢٥٨ ، ٢٥٩) .

من أن أبيّاً وابن عباس وعبد الله وعلياً قرأوا « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة » (١) .

وقد رويت عنه رضى الله عنه في قول الله تعالى ﴿ أفلم يندس ﴾ قراءة مسندة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مع كون الرسم يحتملها ؛ إذ قرأ « أفلم يتبين » - ومع هذا فلم يقرأ بها لأن المدار على الأخذ والسمع والتلقى ؛ إذن فنعتبرها قراءة تفسيرية . قال الزمخشري « ومعنى أفلم يندس : أفلم يعلم . . . ويدل عليه أن علياً وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين ، قرأوا أفلم يتبين ، وهو تفسير أفلم يندس » (٢) .

والخلاصة : أن كل رواية آحادية تفيد إثبات شيء على أنه قرآن ، أو تفيد إنكار شيء من القرآن الذى ثبت بالتواتر : لا تقبل ؛ لأن الآحادى لا يعارض القطعى . وكل شبهة يتمسك بها الطاعنون ترد من هذا الطريق .

ولو سلمنا أن لعلى مصحفاً ، فإنه لن يخرج عن المصحف البكرية ، وعن مصحف عثمان : روى عبد خير عن على قال « أعظم الناس أجراً فى المصاحف أبو بكر ، فإنه أول من جمع بين اللوحين » وعنه أيضاً قال « سمعت علياً يقول : أعظم الناس أجراً فى المصاحف أبو بكر ، رحمة الله على أبي بكر ، هو أول من جمع بين اللوحين » . وقال الإمام على فيما رواه عنه سويد بن غفلة ، حين حرق عثمان المصاحف « لو لم يصنعه هو لصنعه » وقال سويد « والله لا أحدثكم إلا شيئاً سمعته من على بن أبى طالب رضى الله عنه ، سمعته يقول : يا أيها الناس لا تغلوا فى عثمان ولا تقولوا له إلا خيراً - أو قولوا له خيراً - فى المصاحف وإحراق المصاحف ، فوالله ما فعل الذى فعل فى المصاحف إلا عن ملأ منّا جميعاً » . . . الخ (٣) .

والحاصل من هذه الآثار : أن الإمام علياً كان مع الجماعة ، وكان من الذين أجمعوا على مصحف عثمان ، ولا يليق به إلا هذا . .

(١) البحر المحيط (٦ - ١٥٤) . (٢) الكشاف (١ - ٦٥٥) .

(٣) هذه الآثار الأربعة من المصاحف ص (٥ ، ١٢ ، ٢٢ ، ٢٣) .

٢ — وأما عن الناحية الثانية :

فقد زعمت الشيعة أن أبا بكر وعمر وعثمان حرفوا القرآن وأسقطوا كثيراً من آياته وبعض سوره - روى الكليني عنهم عن هشام عن سالم عن أبي عبد الله^(١) أن القرآن الذي جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم سبعة عشر ألف آية . وروى محمد بن نصر عنه أنه قال : كان في ﴿ لم يكن ﴾ اسم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم . وذكر ابن شهرآشوب المازداني في كتابه (المثالب) أن سورة «الولاية» أسقطت بتمامها ، وكذا أكثر سورة الأحزاب ، فإنها كانت مثل سورة الأنعام ، فأسقطوا منها فضائل أهل البيت^(٢) . ويقولون أيضاً « كان لأمير المؤمنين عليه السلام ، قرآن مخصوص جمعه بنفسه ، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وعرضه على القوم فأعرضوا عنه فحجبه عن أعيانهم ، وكان عند ولده عليهم السلام ، يتوارثه إمام عن إمام ، كسائر خصائص الإمامة وخزائن النبوة ، وهو عند الحجة - عجل الله فرجه - يظهره للناس بعد ظهوره ويأمرهم بقراءته ، وهو مخالف لهذا القرآن الموجود ؛ من حيث : التأليف وترتيب السور والآيات بل والكلمات ، ومن جهة الزيادة والقصص »^(٣) ... إلخ .

ومع هذا فإن الشيعة يقولون : إن القرآن المثبت في المصحف الإمام لم يزد فيه ، لكن انتقص منه ما كان في مصحف أمير المؤمنين علي ، والغلاة منهم يزعمون أن الصحابة حذفوه ليسلبوا حق علي في الخلافة ، أما المعتدلون منهم فيعتبرونه من باب التفسير^(٤) .

ومن كلام جولدسيهر أنهم وجدوا في مكتبة (بانكيبور) بالهند نسخة من القرآن تشتمل على سورة ﴿النورين﴾ وسورة ﴿الولاية﴾ وتشتمل على تفسيرات مذهبية

(١) هو جعفر الصادق رضي الله عنه . والكليني في روايته عندهم كالبخاري عندنا .

(٢) مختصر التحفة الاثني عشرية (٥٢ ، ٥٣) وتفسير الألوسي (١ - ٢٣ ، ٢٤) .

(٣) فصل الخطاب (٩٧ ، ٩٨) . (٤) انظر مجمع البيان (١ - ١٨ ، ١٩) .

في بقية السور المشتركة . ثم يحكى أن طلحة بن عبيد الله سأل علياً عن القرآن الذي جمعه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم « فأجابه على بأن النبي صلى الله عليه وسلم أملى عليه حقاً جميع القرآن ، بكل ما اشتمل عليه من أحكام وأنباء ، ولكنه لأسباب يرى الأبيوح بها ، لا يريد أن يعلن مصحفه على الناس ، وليس مصحف عثمان في حقيقة الأمر هو كل القرآن ، ولكن ما اشتمل عليه قرآن ، فإذا تمسكتم به نجوت من النار وبلغتم الجنة ، وكل ما فيه من نص فهو صحيح ، وإنما الخطأ هو ما حمله الخصوم من تفسير . هذا هو موقف الشيعة على وجه العموم من القرآن ، فينبغي أن يقنع المرء بالنص العثماني الذي لم يبرأ من الشوائب ، ويتجه إلى التفسير الصحيح لذلك النص أي الصحيح عند الشيعة »^(١) .

ونقول :

تلك قل من كثر من أباطيلهم ، التي تلقفها أعداء الإسلام ، وأخذوا ينشرونها على الناس ، وبأبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .
« والقوم من أكذب الناس في التقلبات ، وأجهل الناس في العقليات ؛ ولهذا كانوا عند العلماء أجهل الطوائف ، وقد أدخل منهم على الدين من الفساد ما لا يحصىه إلا رب العباد ، والنصيرية والإسماعيلية والباطنية من بابهم دخلوا ، والكفار والمرتدة بطريقتهم وصاوا »^(٢) .

« والرافضة في الأصل ليسوا أهل خبرة بطريق المناظرة ومعرفة الأدلة ، وما يدخل فيها من المنع والمعارضة : كما أنهم جهلة بالمنقولات ، وإنما عمدتهم على تواريخ منقطعة الإسناد ، وكثير منها من وضع المعروفين بالكذب ، فيعتمدون على نقل أبي مخنف لوط ابن يحيى وهشام الكلبي »^(٣) .

(٢) المنتقى (١٩) .

(١) مذاهب التفسير الإسلامي (٣٠٠ ، ٣٠١) .

(٣) نفس المرجع (٢٠ ، ٢١) .

وعن أبي مخنف قال الذهبي « أخباري تالف لا يوثق به ، تركه أبو حاتم وغيره ، وقال الدارقطني : ضعيف ، وقال ابن عدى : شيعي محترف صاحب أخبارهم ، وقال ابن معين : ليس بثقة ، وقال مرة : ليس بشيء » مات سنة ١٧٠ هـ (١) .

وقال عن الثاني الإمام أحمد : « كان صاحب سمر ونسب ، ماظنت أن أحدا يحدث عنه . وقال عنه ابن عساكر : رافضي ليس بثقة . وقال الدارقطني وغيره : متروك » مات سنة ٢٠٤ هـ (٢) .

وروى التستري أن أبا زرعة قال « إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا حق والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن : أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا لإبطال الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى وهم زنادقة » (٣) .

« ومن مكايدهم أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعتبرين عند أهل السنة ، فمن وجدوه موافقا لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا إليه رواية حديث ذلك الشيعي إليه ، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتمد أنه إمام من أئمتهم ، فيعتبر بقوله ويعتد بروايته . كالسُدِّي فإنهما رجلان : أحدهما السدي الكبير ، والثاني السدي الصغير ، فالكبير من ثقات أهل السنة ، والصغير من الوضاعين الكذابين ، وهو رافضي غال » (٤) ... الخ . والخبر عندهم : أعلاه (الصحيح) وهو ما اتصل روايته بالمعصوم بواسطة عدل إمامي وهم لا يعتبرون العدالة في إطلاق الصحيح وإن ذكروها في تعريفه ؛ لأنهم يقولون رواية مجهول الحال صحيحة ، وحكوا بصحة حديث من دعا عليه الإمام بقوله : أخزاه الله وقاتله الله . وصحة روايات الجسمة والمشبهة ومن جوز البداء عليه تعالى ، مع أن هذه

(١) ميزان الاعتدال (٢ - ٣٦٠) . (٢) نفس المرجع (٣ - ٢٥٦) .
(٣) مقدمة المنتقى (١٠) . (٤) مختصر النجفة الاثني عشرية (٣٢) .

كلها مكفرة ، ورواية الكافر غير مقبولة فضلا عن صحتها . هذا هو حال الصحيح ، فما بالك ببقية الأقسام عندهم ، من الحسن والموثق والضعيف^(١) ؟

وأما عن وجود القرآن عندهم كاملا؛ فنقول لهم: إن كان ما عندكم كافياً في الشرع فلا حاجة إلى المنتظر ، وإن لم يكن كافياً فقد اعترفتم بالنقص وسلب السعادة عنكم ، لأنها متوقفة على أوامر من أمر لا تعلمون بماذا أمر . . فأصل دينكم مبني على مجهول بل على معدوم ، فلا فائدة فيه أصلا لا بعقل ولا بنقل^(٢) .

إن دعوى جمع الإمام على القرآن وأنه بأيدي الإمام المختفي ، لا أساس لها من الصحة وهي دعوى مغرضة لا تصدر عن مسلم . روى البخاري عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي رضي الله عنه قال « اقضوا كما كنتم تقضون ، فإنني أكره الاختلاف حتى يكون للناس جماعة ، أو أموت كما مات أصحابي . فكان ابن سيرين يرى أن عامة ما يروى على علي الكذب »^(٣) .

ثم إن علياً تولى والقرآن يتلى في الرقعة الإسلامية على اتساعها ، ولو كان شيء مما ادعاه هؤلاء لبادر إلى تصحيحه ، خاصة وأنه صاحب السلطان ولكن هؤلاء لم تواتهم الفرصة لبث فتنهم إلا في عهد الدولة العباسية ، عندما انصرف الناس إلى زخرف الحياة الدنيا ، وألف أصحاب الأغراض الكتب التي تطعن كتاب الله تعالى . من هؤلاء: أبو الفضل بن الحسن الطبرسي توفي سنة ٥٤٨ هـ عن تسعين عاماً تقريباً . وأبو جعفر الطوسي توفي سنة ٤٦٠ هـ وله من العمر خمس وسبعون . ومن تلاميذ الطبرسي ابن شهر آشوب ، والراوندي وشاذان القمي وغيرهم .

ولكن الله الذي حفظ كتابه قبيض له من يذب كيد هؤلاء وغيرهم ، عنه عز وجل

قائله .

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية (٤٧ : ٤٩) بتصرف . (٢) عن المنتقى (٢٥) .

(٣) صحيح البخاري (٥ - ٢٤) .

ولقد ترجم البخارى بباب (من قال : لم يترك النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما بين
الدفنتين) لارد على من زعم أن كثيراً من القرآن ذهب بذهاب حملته . وأورد فيه حديثاً
« عن عبد العزيز بن رفيع قال : دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس رضى الله
عنهما ، فقال له شداد بن معقل : أترك النبي صلى الله عليه وسلم من شيء ؟ قال : ما ترك
إلا ما بين الدفتين . قال : ودخلنا على محمد بن الحنفية ، فسألناه ، فقال : ما ترك إلا
ما بين الدفتين » (١) .

قال ابن حجر : « وهو شيء اختلته الروافض لتصحيح دعواهم أن التنصيص على
إمامة على واستحقاقه الخلافة عند موت النبي صلى الله عليه وسلم كان ثابتاً في القرآن
وأن الصحابة كتموه ، وهى دعوى باطلة ؛ لأنهم لم يكتموا مثل « أنت عندى بمنزلة
هارن من موسى » (٢) وغيرها من الظواهر التى قد يتمسك بها من يدعى إمامته ، كما لم
يكتموا ما يعارض ذلك أو يخصص عمومه أو يقيد مطلقه . . . وقد تطف المصنف فى
الاستدلال على الرافضة ، بما أخرجه عن أحد أئمتهم الذين يدعون إمامته ، وهو محمد
ابن الحنفية وهو ابن على بن أبى طالب ، فلو كان هناك شيء ما يتعلق بأبيه لكان هو
أحق الناس بالاطلاع عليه ، وكذلك ابن عباس فإنه ابن عم على وأشد الناس له لزاماً
وإطلاعاً على حاله . . . ووقع عند الإسماعيلى : لم يدع إلا ما فى هذا المصحف ، أى لم يدع
من القرآن ما يتلى ، إلا ما هو داخل المصحف الموجود . . . » (٣) .

ولقد كان أبو عبد الرحمن السلمى إذا ختم عليه الخاتم القرآن أجلسه بين يديه ،
ووضع يده على رأسه ثم قال « يا هذا اتق الله ، فما أعرف أحداً خيراً منك ، إن عملت
بالذى علمت » (٤) وفى هذا الأثر دليل على أن القرآن الذى بين أيدينا كامل تام ليس
فيه نقص ولا زيادة ولا تقديم ولا تأخير ولا تبديل ؛ لأن أبا عبد الرحمن ممن تخرج على

(١) صحيح البخارى (٦-٢٣٤) . (٢) رواه البخارى (٥-٢٤) ومسلم (١٥-١٧٦) .

(٣) فتح البارى (١٠-٤٤١) . (٤) مقدمتان فى علوم القرآن (٦٠) .

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأخذ القراءة عنه ، فإذا أخبر بأن آخر القرآن هو الذي ليس بعده شيء ، كان هذا هو مذهب شيخه علي بن أبي طالب .
مع أن القرآن الذي حصله عنه أبو عبد الرحمن ، هو كالذي كان يؤم به الناس في صلواته ، فيجدونه موافقاً لجمع عثمان ، ولو كان فيه زيادة أو نقص أو غيرها ، لوافقوا عليها عليها وأثبتوها في المصحف على قوله ؛ لعلو درجته وارتفاع مرتبته ، إذن فمن أخبر بأن القرآن فقد منه شيء فقد أخبر بمحال لا تقبله .

ذكر شهادة بعض علمائهم بصحة القرآن وتواتره :

لقد تفتن (الطبرسي) إلى وهن دعواهم ، وحكاها على أنها قول لبعض أصحابه ،
ولكنه مع ذلك يدس السم في العسل ؛ حيث نسبها إلى قوم من حشوية العامة - ويعني بهم أهل السنة - قال « فأما الزيادة فيه فجمع على بطلانه ، وأما النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة ، أن في القرآن تغييراً ونقصاناً ،
والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه ، وهو الذي نصره المرتضى - قدس الله روحه -
واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في (جواب المسائل الطرابلسيات) وذكر في مواضع أن العلم بصحة نقل القرآن ، كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام
والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة ، فإن العناية اشتدت والدواعي توفرت
على نقله وحراسته ، وبلغت إلى حد لم يبلغه فيما ذكرناه . . . وذكر أيضاً - رضي الله
عنه - أن القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجموعاً مؤلفاً على ما هو
عليه الآن ، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان ،
حتى عيّن على جماعة من الصحابة في حفظهم له ، وأنه كان يعرض على النبي صلى الله عليه
وسلم ، وأن جماعة من الصحابة مثل : عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرها ، ختموا

القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم عدة ختمات ، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث^(١) ، وذكر أن من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم؛ فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث، نقلوا أخباراً ضعيفة ، ظنوا صحتها . لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع بصحته^(٢) .

ثم نراه يعترف بأن مصحف الإمام على وقراءته موافقة لبعض السبعة، يقول « فأما عاصم فإنه قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وهو قرأ على علي بن أبي طالب عليه السلام... وأما حمزة فقرأ على جعفر بن محمد الصادق عليه السلام . . . وقرأ حمزة على حمران بن أعين أيضاً وهو قرأ على أبي الأسود الدؤلي وهو قرأ على علي بن أبي طالب.. » و« اعلم أن عدد أهل الكوفة أصح الأعداد وأعلاها إسناداً ؛ لأنه مأخوذ عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام »^(٣) .

ويحكى الكاشاني عن ابن بابويه القمي أنه قال « اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم هو ما بين الدفتين ، وما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك . قال : ومن نسب إلينا أننا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب »^(٤) .

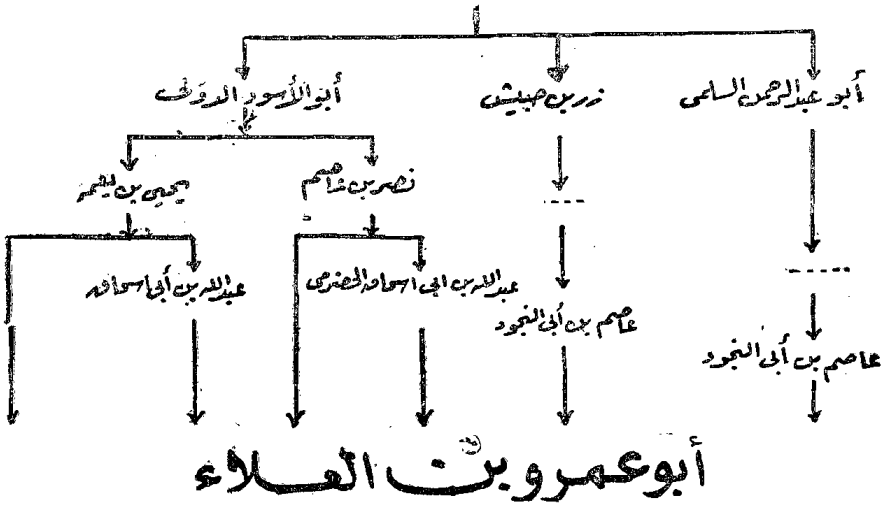
وختم الكلام على مصحف الإمام على كرم الله وجهه نقول : إن كلام الشيعة لا يرتكز على أساس سليم ، ونقطع بعدم صحة أسانيدهم التي حملت إلينا هذا القول في القرآن الكريم . ثم نقول : إن قراءة أربعة من الأعلام السبعة تنتهي إلى الإمام على وفيها مما يفتنم سلسلة الرواة بعض أئمة البيت الطيبين الطاهرين، ونحن لا نعتقد في آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم خلاف هذا .

(١) يشير إلى قول بعض الشيعة الذين يقولون : إن في القرآن آيات حولت عن مواضعها كقول القمي في تفسيره : إن قول الله تعالى « يا موسى إن فيها قوماً جبارين ولنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإننا داخلون » هو تمام قوله « أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم » فنصف الآية في المائة متمم لنصفها في البقرة . [الصافي في تفسير القرآن المجيد والفرقان المجيد] ص (٣٣) .

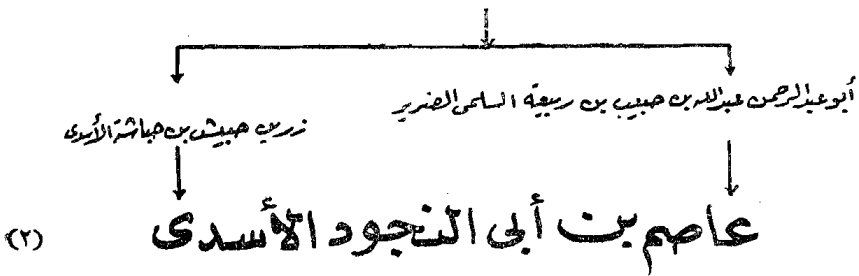
(٢) مجمع البيان (١ ، ١٨ ، ١٩) .

(٣) نفس المصدر ص (١١) ، (٩) (٤) الصافي في تفسير القرآن (٣٦) .

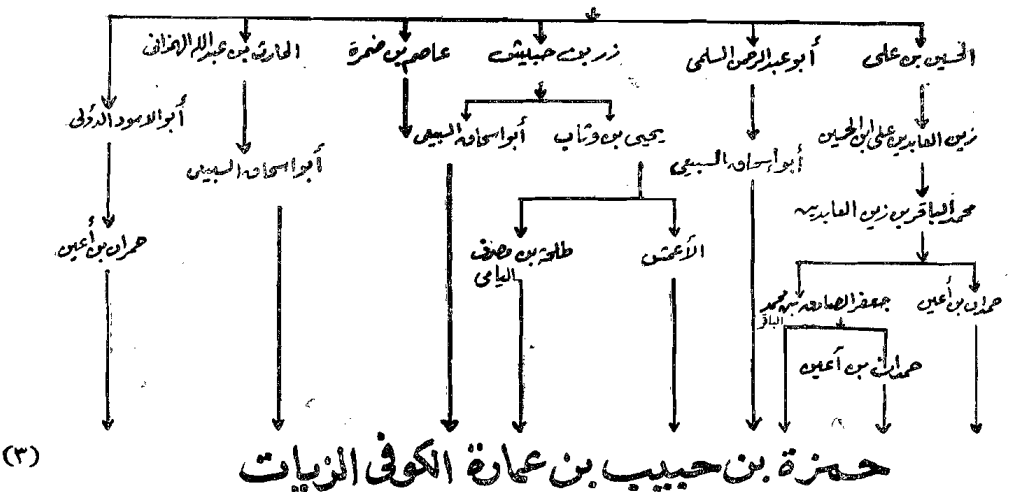
فلقد لقن الرسول صلى الله عليه وسلم الإمام عليا . وعنه رضى الله عنه أخذ :



وعن علي بن أبي طالب أخذ :

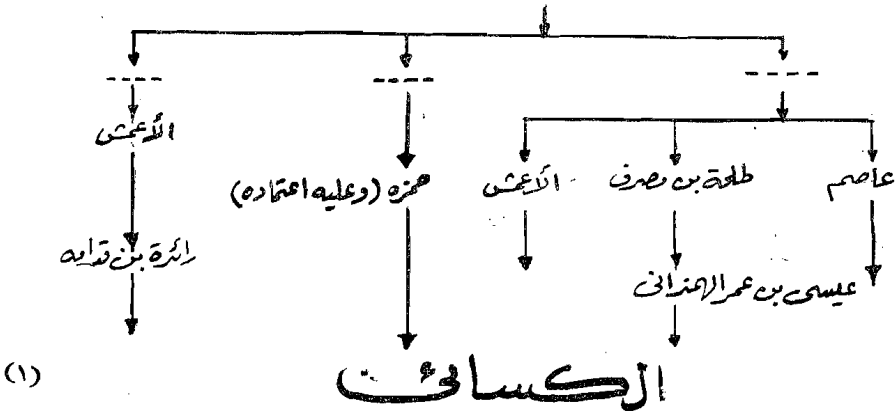


وعن علي بن أبي طالب أخذ :



(١) النشم (١ - ١٣٣ ، ١٣٤) . (٢) النشم (١ - ١٥٥) التيسير (٩) . (٣) النشم (١ ، ١٦٥) .

وعن علي بن أبي طالب أخذ :



الشبهة الثالثة :

من دعاوى الشيعة الباطلة التي شنع بها المستشرقون على القرآن ، أن القرآن قد سقط منه بعض سورة القيامة - يقول جولدسيهر « وفي العهد المبكر للانشقاق الشيعي حصل فعلا الاستدلال على الطعن في القرآن الرسمي ؛ بالإشارة إلى تفكك السياق من جهة المعنى في الآيات المتفرقة المتتالية بعضها مع بعض ، مما يمكن أن يكون سببه حذف الآيات الرابطة للسياق » ثم يمثل بالآيتين (١٦، ١٧) من سورة القيامة ويقول « تنسب هذه الدعوى إلى قدماء الشيعة . . » الخ (٢) .

ونقول : إن قول الله ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ﴾ بين ﴿ ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ﴾ و ﴿ كلا بل تحبون العاجلة . . ﴾ . في غاية الدقة والإحكام ، والمناسبة بين الآيات لا تخفى على أولى الفكر والنظر . بيان ذلك :

(١) أنه تعالى نقل عن الكفار أنهم يحبون سعادة العاجلة ، فقال ﴿ بل يريد الإنسان

(١) النشر (١ ، ١٧٢) (٢) مذاهب التفسير الإسلامي (٢٩٥) .

ليفجر أمامه ﴿ ثم بين أن التعجيل مذموم مطلقاً حتى في أمور الدين ، فقال ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ﴾ ثم قال ﴿ كلا بل تحبون العاجلة ﴾ .

(٢) أنه تعالى حكى عن الكافر أنه يقول ﴿ أين المفر ﴾ ثم قال ﴿ كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر ﴾ فكان الكافر يفر من الله إلى غيره ، وأما الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كالمضاد له ، فيفر من غير الله إلى الله ، فكانه قال : فاترك التكرار خوف التفتل ، واستعن بالله في كل أمورك ، وهو كفيل بأن يجعلك حافظاً ، وذلك قوله ﴿ إن علمنا جمعه وقرآنه ﴾ (١) .

(٣) أو أن عادة القرآن إذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد حيث يعرض يوم القيامة ، أرفده بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدينية في الدنيا ، التي تنشأ عنها المحاسبة عملاً وتركاً ، كما قال سبحانه في الإسراء ﴿ فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم ﴾ إلى أن قال ﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾ . . . الآية . وكما قال في طه ﴿ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً ﴾ إلى أن قال ﴿ فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه ﴾ (٢) .

(٤) وأحسن هذه الأوجه في الربط ما ورد من أن ذلك إنما اتفق للرسول صلى الله عليه وسلم حال نزول هذه الآيات عليه ، فهى عن ذلك الاستعجال في وقته ، فهو من باب ما لو تشاغل التلميذ عن شيخه ، فيقول له في الأثناء : انتبه ولا تلتفت عنى وسمع ما أقول ، ثم يصل حديثه ، فمن عرف السبب علم أن الكلام الثانى ليس خارجاً عن الأول ، وإنما يحمل في طيه التشويق ، فيحكم أن الكلام حسن الترتيب ، ومن لم يعرف قال إن الكلام غير متناسق (٣) .

(١) مفاتيح الغيب (٨ - ٢٦٤ ، ٢٦٥) .

(٢) انظر الإتيان (٢ - ١١١) وفتح البارى (١٠ - ٣٠٦) .

(٣) البرهان (١ - ٤٨) .

وهذا المثال وقع مثله عند أهل الحديث :

ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن يحيى بن أبي كثير قال « سمعت أبي يقول : لا يستطاع العلم براحة الجسم » قال النووي « وحكى القاضى عياض رحمه الله تعالى عن بعض الأئمة أنه قال . سببه أن مسلماً رحمه الله تعالى أعجبه حسن سياق هذه الطرق التي ذكرها لحديث عبد الله بن عمرو - أى فى أوقات الصلوات - وكثرة فوائدها وتلخيص مقاصدها وما اشتملت عليه من الفوائد فى الأحكام وغيرها ، ولا نعلم أحداً شاركه فيها ، فلما رأى ذلك أراد أن ينبه من رغب فى تحصيل الرتبة ، التي ينال بها معرفة مثل هذا ، فقال : طريقه أن يكثر اشتغاله وإتباعه جسمه فى الاعتناء بتحصيل العلم . هذا شرح ما حكاه القاضى « اهـ ^(١) .

ومثله ما رواه ابن ماجه بسنده قال « حدثنا إسماعيل بن محمد الطلحى ثنا ثابت بن موسى أبو زيد عن شريك عن الأعمش عن أنى سفیان عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه فى النهار » ^(٢) .

قال الحافظ السيوطى فى شرح عبارة النووى (وربما وقع فى شبه الوضع بغير قصد)؛ قال : « وربما وقع - الراوى - فى شبه الوضع - غلطاً منه - بغير قصد - فليس بموضوع حقيقة ، بل هو بقسم المدرج أولى ؛ كما ذكره شيخ الإسلام فى شرح النخبة ، قال بأن يسوق الإسناد فيعرض له عارض فيقول كلاماً من عند نفسه ، فيظن بعض من سمعه أن ذلك متن ذلك الإسناد ، فيرويه عنه كذلك » .

وبعد أن ذكر حديث ابن ماجه السابق قال « قال الحاكم : دخل ثابت على شريك وهو يملى ويقول : حدثنا الأعمش عن أنى سفیان عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسكت ليكتب المستملى ، فلما نظر إلى ثابت قال : من كثرت صلواته

(١) شرح النووى على مسلم: أوقات الصلوات الخمس (٥-١١٣، ١١٤) .

(٢) سنن ابن ماجه (١-٤٢٢) .

بالليل حسن وجهه بالنهار» وقصد بذلك ثابتاً لزهده وورعه ، فظن ثابت أنه متن ذلك الإسناد فكان يحدث به وقال ابن حبان : إنما هو قول شريك ، فإنه قاله عقب حديث الأعمش عن أبي سفيان عن جابر : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم . . . » فأدرجه ثابت في الخبر ، ثم سرقة منه جماعة من الضعفاء ، وحدثوا به عن شريك ، كعبد الحميد ابن بحر وعبد الله بن شبرمة وإسحاق بن بشر الكاهلي وجماعة آخرين ^(١) .
وهذا مجرد تنظير لما يطرأ أثناء الوحي أو التحديث ؛ فإن الآية وحى من الله تعالى ،
أما الحديث فهو يحتمل الرفع والوقف .

ونقول : إن هذا الوجه هو الأحسن في ربط الآيات ؛ لأنه يوافق الوارد :
فقد روى الشيخان وغيرهما - واللفظ للبخارى - عن ابن عباس رضى الله عنهما قال
« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل جبريل بالوحي ، وكان مما يحرك به لسانه
وشفتيه ، فيشتد عليه ، وكان يعرف منه . فأنزل الله الآية التي في ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ :
﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ﴾ قال : علينا أن نجمله في صدرك
وقرآنه ﴿ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾ فإذا أنزلناه فاستمع ﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾ علينا أن
نبينه بلسانك . قال : فكان إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله ^(٢) .

(١) تدريب الراوى (١٨٨) .

(٢) صحيح البخارى (٦ - ٢٠٣) تفسير سورة القيامة .

الخاتمة

إيجاز القول في سلامة القرآن

من التحريف والتبديل

١ - إن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، تضافرت جهود الصحابة على جمع القرآن الكريم حفظاً وكتابة، وعلى نشره في الناس بطريق البعثات والكتب، ووصلت الصحف إلى جميع الأقطار بدون تحريف فيه، نقلوا ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأوصلوه إلى من بعدهم، ومن بعدهم إلى من بعدهم، وهكذا حتى وصل إلينا، وسيصل إلى من بعدنا كذلك صحيحاً، ولو حصل فيه شيء مما يدعى المغرضون في أي عصر من العصور لعورض ولثارت الأمة على مبلغه وكاتبه، ولما لم ينقل شيء من هذا نقلاً صحيحاً دل على أن شيئاً من ذلك لم يقع.

يقول ابن حزم في صفة وجوه النقل الذي عند المسلمين لكتابهم ودينهم: « إن نقل المسلمين - لكل ما ذكرنا - ينقسم أقساماً ستة:

(أولها) شيء ينقله أهل المشرق والمغرب عن أمثالهم جيلاً جيلاً لا يختلف فيه مؤمن ولا كافر منصف غير معاند للمشاهدة، وهو القرآن المكتوب في المصاحف في شرق الأرض وغربها، لا يشكون ولا يختلفون في أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أتى به وأخبر أن الله عز وجل أوحى به إليه، وأن من اتبعه أخذه عنه كذلك، ثم أخذ عن أولئك حتى بلغ إلينا... ».

ثم يقول «... فإنه نقل كل ذلك اليماني والمضري والربيعي والقضاعي، وكلهم أعداء متباينون متحاربون، يقتل بعضهم بعضاً ليس هناك شيء يدعوهم إلى المسامحة في نقلهم له، ثم نقله عن هؤلاء من بين المشرق والمغرب، وكانت العرب بلا خلاف قوماً لقاحاً لا يملكهم أحد... أو ملوكاً في بلادهم يتوارثون الملك كابراً عن كابر... ».

فانقادوا كلهم لظهور الحق وبهوره ، وآمنوا به صلى الله عليه وسلم طوعا ، وهم آلاف آلاف ، وصاروا إخوة كبنى أب وأم ، وانحل كل من أمكنه الانحلال عن ملكه منهم إلى رسله طوعا بلا خوف غزو ولا إعطاء مال ولا بطمع في عز ، بل كلهم أقوى جيشاً من جيشه ، وأكثرا مالا وسلاحا منه ، وأوسع بلداً من بلده . . لما ثبت عندهم من آياته وبهرهم من معجزاته . . » (١) .

٢ - ثم إن القرآن جعله الله معجزةً لنبيه صلى الله عليه وسلم على مدى العصور ، ولو حصل فيه خلل لبطلت معجزته ، وبالتالي تبطل نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، بل نبوة الأنبياء الذين ذكروا في القرآن ، وأيضاً تبطل الشرائع السماوية ، ولكن الله الذي ضمن حفظه قد وكل به الأمة ، وهي لا تجمع على ضلالة ولا تتواطأ على الإخبار عن باطل ولا على كتمان ما شاهدوه ؛ لكثرتهم وخروجهم عن حد الحصر ، وبمثل هذا عرفنا النبوات والشرائع .

ثم إن إخبار الله تعالى أنه تولى حفظه وحراسته ، يعطينا أنه لا يجوز أن يقع خبره سبحانه بخلاف مخبره ؛ وقد قميض الله من الحفظ والنقل من قاموا بأدائه خير قيام « حتى نقلوا إلينا الهمزة الثقيلة والخفيفة ، وميزوا بين إطالة المشبعة واللطيفة ، واستقصوا في حفظ الإشمام على المعلمين ، ففرقوا بين الإشمام وروم الحركة ، وهو صفة لبعض الحركات على الحروف ، وغير ذلك من الدقائق » (٢) .

٣ - ولو لم يكن للصحابة توقيف منه صلى الله عليه وسلم في أصل القرآن وأجزائه وأوضاعه وترتيبه ، لما كانوا يرضون تأليفه ويثنون على أمير المؤمنين عثمان يرضون عمله ، وهؤلاء هم القراء السبعة ، وأسانيدهم متصلة بعثمان وعلى وعبدالله وأبي وابن عباس وزيد رضي الله عنهم ، على حاله الذي بين أيدينا ، ولو كان اختلاف بينهم في شيء من هذا لنقل إلينا ، خاصة وأن الصدر الأول كان محاطا بالأعداء الذين يكيدون للإسلام وأهله ،

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢ - ٨١ ، ٨٤ ، ٨٥) بتصرف .

(٢) مقدمتان في علوم القرآن (٤٠) .

ولو عثروا على شيء في القرآن لاتخذوه ذريعة لفتنة الأمة ، ولكن ذلك داعياً لتزريق وحدثهم ، وفي ترك النقل بخلاف ما ثبت عنهم دليل قوى على صحة ما ذكرناه .

٤ — وقد قام الإجماع على أن ما بين الدفتين هو الذى تركه النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى جمعه عثمان رضى الله عنه . فمن أنكر حرفاً منه أو زاد فيه أو غير منه حرفاً بحرف أو زعم أنه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم ، عامداً لكل هذا فهو كافر بالإجماع ؛ للنص عليه وإجماع الأمة على نقله متواتراً .

قال القاضى عياض « واعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشيء منه ، أو سبها أو جرده أو حرفاً منه أو آية ، أو كذب به أو بشيء منه ، أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر ، أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبتته ، على علم منه بذلك ، أو شك فى شيء من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماع ؛ قال الله تعالى : ﴿ وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ . . . ولهذا رأى مالك قتل من سب عائشة رضى الله عنها بالفرية ؛ لأنه خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل » (١) .

وقال القرطبي « والقرآن الذى جمعه عثمان بموافقة الصحابة له لو أنكر بعضه منكر كان كافراً ، حكمه حكم المرتد ، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه » . . . قال أبو بكر : وفى قوله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ دلالة على كفر هذا الإنسان ، لأن الله عز وجل قد حفظ القرآن من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان ، فإذا قرأ قارئ « تبت يدا أباي لهب وقد تب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب ومريته حمالة الخطب فى جيدها جبل من ليف » فقد كذب على الله جل وعلا وقوله ما لم يقل وبذل كتابه وحرفه ، وحاول ما قد حفظه منه ومنع من اختلاطه به ، وفى هذا الذى أتاه توطئة الطريق لأهل الإلحاد ؛ ليُدخلوا فى القرآن ما يحلون به عرا الإسلام ، وينسبونه إلى قوم كهؤلاء القوم الذين أحالوا هذا بالأباطيل عليهم ، وفيه إبطال الإجماع الذى به يحرس الإسلام وبثباته تقام الصلوات وتؤدى الزكوات وتتجرى المتعبدات » (٢) . . الخ .

(١) الشفا بتمريف حقوق المصطفى (٢-٢٨٧-٢٨٩) . (٢) الجامع لأحكام القرآن (١-٨٤) .

٥ - وبمثل هذا تشهد العقول الصحيحة والأذهان الصريحة ، وإلا فأى عقل كان يوجب تأخير سورة « اقرأ » إلى أخريات الكتاب وهى أول ما نزل ؟ وتقديم سورة البقرة وهى مدنية وفيها آخر آية نزلت؟ أو يوجب تأخير المنسوخ عن الناسخ فى آية العدة؟ أو يوجب تقديم المسبب على السبب فى قوله ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ ... ﴿وإذ قتلتم نفساً﴾ ؟ إذن فهذا أمر لا يهتدى إليه بعقل بل لا بد فيه من السماع^(١) .

قال الباقلانى : « وحكاية قول من قال ذلك يغنى عن الرد عليه ؛ لأن العدد الذين أخذوا القرآن فى الأمصار وفى البوادي وفى الأسفار والحضر ، وضبطوه حفظاً من بين صغير وكبير ، وعرفوه حتى صار لا يشقه على أحد منهم حرف : لا يجوز عليهم السهو والنسيان ولا التخليط فيه والكتمان ، ولو زادوا أو غيروا لظهر ... ولو جاز أن يكون بعضه مكتوماً لجاز على كله ، ولو جاز أن يكون بعضه موضوعاً لجاز ذلك فى كله . »^(٢) .

(أما بعد) : فإن القرآن المتلو فى جميع أقطار الأرض ، المكتوب فى المصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس ، هو كلام الله ووجه المعجز المنزل على نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الموجود بين أيدينا وإلى أن تقوم الساعة بدون تحريف ولا تغيير زيادة أو نقص أو تقديم أو تأخير أو إبدال ، وجميع ما فيه حق ، نقله الخلف عن السلف حسب ما لقنهم جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم .
وفى الختام :

نسأله سبحانه أن يفيض علينا من بركات القرآن فى الدنيا والآخرة ، وأن يجعله شفيعنا يوم لقائه . ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ . ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

القاهرة فى يوم الجمعة } ٢٩ من جمادى الآخرة سنة ١٣٩٤ هـ
١٩ من يولية سنة ١٩٧٤ م

(١) مقدمتان فى علوم القرآن (٦١ ، ٦٢) بتصرف . (٢) إعجاز القرآن (١٨ : ٢٠) .

أهم الكتب التي استخدمت في الكتاب

- ١ - الإبانة عن معاني القراءات . لمكي بن أبي طالب (المتوفى سنة ٤٣٧ هـ) تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبي . مطبعة الرسالة .
- ٢ - الإتقان في علوم القرآن . لجلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) . طبعة ثالثة سنة ١٣٧٠ هـ . مصطفى الحلبي .
- ٣ - أحكام القرآن . لابن العربي (٥٤٣ هـ) . تحقيق الأستاذ علي البجاوي . عيسى الحلبي . سنة ١٣٨٧ هـ سنة ١٩٦٧ م .
- ٤ - أساس البلاغة . للزنجشري (٥٣٨ هـ) . مطبعة الشعب سنة ١٩٦٠ م .
- ٥ - الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) . الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨ هـ . السعادة .
- ٦ - إعجاز القرآن . للباقلاني (٤٠٣ هـ) تحقيق الأستاذ السيد صقر . دار المعارف سنة ١٩٦٣ م .
- ٧ - البحر المحيط . لأبي حيان (٧٥٤ هـ) الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨ هـ . السعادة .
- ٨ - البرهان في علوم القرآن للزرکشي (٧٩٤ هـ) تحقيق الأستاذ محمد أبي الفضل إبراهيم . عيسى الحلبي سنة ١٣٧٦ هـ سنة ١٩٥٧ م الطبعة الأولى .
- ٩ - البرهان في متشابه القرآن للكرماني (م بعد سنة ٥٠٠ هـ) مخطوطة (١٩٤ علوم قرآن) بالأزهرية .
- ١٠ - البيان في علوم القرآن . للشيخ عبد الوهاب غزلان دار التأليف سنة ١٣٨٤ هـ سنة ١٩٦٥ م .
- ١١ - تأويل مشكل القرآن . لابن قتيبة (٢٧٦ هـ) تحقيق الأستاذ السيد صقر . عيسى الحلبي .

١٢ - التبيان في آداب حملة القرآن . للنووى (٦٧٧ هـ) مصطفى الحلبي . الأولى .

سنة ١٣٧٩ هـ سنة ١٩٦٠ م .

١٣ - تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى للمباركفورى (م ١٣٥٣ هـ) الفجالة

الجديدة ١٩٦٧ م .

١٤ - تدريب الراوى فى شرح التقرىب للسيوطى (٩١١ هـ) تحقيق المرحوم الشيخ

عبد الوهاب عبد اللطيف . المكتبة العلمية . الطبعة الأولى سنة ١٣٧٩ هـ سنة ١٩٥٩ م .

١٥ - التذكار فى أفضل الأذكار للقرطبى (م ٦٧١ هـ) الخالجي سنة ١٣٥٥ هـ .

١٦ - تفسير القرآن العظيم . لابن كثير (٧٧٤ هـ) ج ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ رابعة

الاستقامة سنة ١٣٧٥ هـ سنة ١٩٥٦ م .

١٧ - تناسق الدرر فى تناسب السور للسيوطى (٣٢٧) مجاميع تيمور . مخطوط

١٨ - التيسير فى القراءات السبع . للدانى (٩٨١ هـ) تحقيق أوتو برتزل . ط .

الدولة سنة ١٩٣٠ م استانبول .

١٩ - ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن . للخطابى (٣٨٨ هـ) والرماني (٣٨٦ هـ) والجرجاني

(٤٧١ هـ) تحقيق الأستاذين : محمد خلف الله ومحمد زغول . دار المعارف .

٢٠ - الجامع لأحكام القرآن . للقرطبى (٦٧١ هـ) . ط ثلاثة سنة ١٣٨٧ هـ سنة ١٩٦٧ م .

دار الكاتب العربى .

٢١ - جواهر البيان فى تناسب سور القرآن للغمارى .

٢٢ - حياة محمد - صلى الله عليه وسلم - لهيكل . مكتبة النهضة المصرية . الثامنة

سنة ١٩٦٣ م .

٢٣ - خلاصة تذهيب الكمال . للخزرجى . الخيرية الأولى سنة ١٣٢٢ هـ .

٢٤ - ذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنايسى . ط جمعية النشر

والتأليف . الأولى سنة ١٩٣٤ م .

- ٢٥ - روح المعاني . للألوسی (١٢٧٠ هـ) . إدارة الطباعة المنيرية . الثانية .
- ٢٦ - رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين . للنووی (٦٧٧ هـ) . عبد الرحمن محمد سنة ١٣٥١ هـ .
- ٢٧ - سنن ابن ماجه (٢٧٥ هـ) تحقيق محمدفؤاد عبدالباقي . عيسى الحلبي سنة ١٣٧٢ هـ .
- ٢٨ - سنن النسائي (٣٠٣ هـ) المسمى بالمجتبي بشرح السيوطي . الميمنية سنة ١٣١٢ هـ .
- ٢٩ - شذور الذهب لابن هشام (٧٦١ هـ) . السعادة . الخامسة سنة ١٣٧١ هـ .
- سنة ١٩٥١ م .
- ٣٠ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى . للقاضي عياض . العمانية سنة ١٣١٢ هـ .
- ٣١ - الصافي في تفسير القرآن المجيد . للفيض الكاشاني (قرابة سنة ١٠٩٠ هـ) المطبعة الإسلامية بطهران سنة ١٣٧٤ هـ .
- ٣٢ - صحيح البخاري (٢٥٦ هـ) طبعة الشعب سنة ١٣٧٨ هـ .
- ٣٣ - صحيح مسلم (٢٦١ هـ) شرح النووی . المطبعة المصرية سنة ١٣٤٩ هـ .
- ٣٤ - الطبقات الكبرى . لابن سعد (٢٣٠ هـ) . دار التحرير للطبع والنشر .
- ٣٥ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري . للعينی (٨٥٥ هـ) إدارة الطباعة المنيرية .
- ٣٦ - غرائب القرآن و رغائب الفرقان . للنيسابوري (٧٢٨ هـ) علي هامش الطبري الأميرية الطبعة الأولى سنة ١٣٢٣ هـ .
- ٣٧ - فتح الباري شرح صحيح البخاري . لابن حجر (٨٥٢ هـ) ج ١٠ ط مصطفى الحلبي سنة ١٣٧٨ هـ . والبقية ط عبد الرحمن محمد سنة ١٣٤٨ هـ .
- ٣٨ - الفتح الرباني على المسند للشيخ الساعاتي الأولى . سنوات مختلفة (١٣٥٣ - ١٣٧٦ هـ)
- ٣٩ - فجر الإسلام . للأستاذ أحمد أمين . لجنة التأليف والترجمة والنشر . السابعة .
- سنة ١٩٥٩ م .

- ٤٠ - فصل الخطاب. لحسين الطبرسي . طبع سنة ١٢٩٨ هـ . بدون ذكر المطبعة -
رقم ٦٠٥ تفسير تيمور بدار الكتب المصرية . فرغ منه المؤلف سنة ١١٩٨ هـ
٤١ - الفصل في الملل والأهواء والنحل . لابن حزم (٤٥٦ هـ) . مطبعة مصر سنة
١٣١٧ هـ .
٤٢ - فضائل القرآن لابن كثير (٧٧٤ هـ) عيسى الحلبي سنة ١٣٧١ هـ سنة ١٩٥٢ م .
٤٣ - الكشاف عن حقائق التنزيل . للزمخشري (٥٣٨ هـ) . العامرة سنة ١٣٠٨ هـ .
٤٤ - لطائف الإشارات للإمام القشيري (م سنة ٤٦٥ هـ) . دار الكاتب العربي .
٤٥ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . للحافظ الهيثمي (٨٠٧ هـ) بتحرير العراقي وابن
حجر . مكتبة القدسي .
٤٦ - مجمع البيان لعلوم القرآن . لأبي الفضل الطبرسي (٥٥٤٨) إخراج المشايخ
محمد المدني وعبد العزيز عيسى ومحمد إسماعيل . دار التقريب بين المذاهب الإسلامية
سنة ١٣٧٨ هـ سنة ١٩٥٨ م .
٤٧ - مختار الصحاح لأبي بكر الرازي . الثالثة سنة ١٣٢٩ هـ سنة ١٩١١ م . الأميرية .
٤٨ - مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع . لابن خالويه (٣٧٠ هـ) . الرحمانية
سنة ١٩٣٤ م .
٤٩ - مختصر التحفة الاثني عشرية اختصار الأوسى . والأصل بالفارسية للدهلوي .
السلفية سنة ١٣٧٣ هـ .
٥٠ - مختصر الحافظ المنذرى على سنن أبي داود (٢٧٥ هـ) تهذيب ابن القيم ط
السنة الحمدية سنة ١٩٤٨ م .
٥١ - مذاهب التفسير الإسلامي . لجولداسيمبر . ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار .
السنة الحمدية سنة ١٣٧٤ هـ سنة ١٩٥٥ م .

- ٥٢ - مذكرات في علوم القرآن . للدكتور أحمد السيد الكومي . والدكتور محمد أحمد يوسف القاسم ط . الجليل للطباعة سنة ١٣٩١ هـ سنة ١٩٧١ م .
- ٥٣ - المستدرک علی الصحیحین للحاکم (م سنة ٤٠٥ هـ) وعليه تلخيص المستدرک للذهبي مطابع النصر الحديثة بالرياض .
- ٥٤ - المصاحف لابن أبي داود (٣١٦ هـ) تحقيق آرثر جفري . الرحمانية . الأولى سنة ١٣٥٥ هـ سنة ١٩٣٦ م .
- ٥٥ - مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) ج ١ : ٤ سنة ١٣٠٨ هـ ، ج ٥ : ٨ سنة ١٣٢٤ هـ . العامرة الشرفية .
- ٥٦ - المفردات للراغب الأصفهاني (٥٠٢ هـ) . ط مصطفى الحلبي سنة ١٩٦١ م .
- ٥٧ - مقدمتان في علوم القرآن . لابن عطية (٥٤٦ هـ) وآخر مجهول . تحقيق آرثر جفري . السنة المحمدية سنة ١٩٥٤ م .
- ٥٨ - مقدمة ابن خلدون (٨٠٨ هـ) ط مصطفى محمد .
- ٥٩ - المنع في رسم مصاحف الأمصار . لأبي عمرو الداني (٩٨١ هـ) . تحقيق أوتو برترل ط . الدولة سنة ١٩٣٢ م استانبول .
- ٦٠ - الملل والنحل للشهرستاني (٥٤٨ هـ) . تخرج الدكتور المرحوم محمد فتح الله بدران . ط . تخيمر سنة ١٩٥٦ م .
- ٦١ - المنتقى من منهاج الاعتدال . للذهبي (٧٤٨ هـ) مختصر منهاج السنة لابن تيمية تحقيق المرحوم محب الدين الخطيب . السلفية سنة ١٣٧٤ هـ .
- ٦٢ - منار الهدى في بيان الوقف والابتدا . للأشموني . ط الحجر سنة ١٢٨٦ هـ
- ٦٣ - مناهل العرفان . للمرحوم الشيخ الزرقاني . عيسى الحلبي . الثالثة سنة ١٣٧٢ هـ .
- ٦٤ - المناسبات في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره . رسالة العالمية (الدكتوراه) بقلم الدكتور محمد أحمد يوسف القاسم . مكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر .

٦٥ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال. للحافظ الذهبي (٧٤٨ هـ). السعادة. الأولى

سنة ١٣٢٥ هـ.

٦٦ - النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز. السعادة سنة ١٩٦٠ م.

٦٧ - النشر في القراءات العشر. لابن الجزري (٨٣٣ هـ) تحقيق الشيخ الضباع

ط. مصطفى محمد.

٦٨ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٨٨٥ هـ) مخطوط (٥٩٠ تفسير)

بمكتبة الأزهر.

٦٩ - النهاية. لابن الأثير (٦٠٦ هـ) تحقيق الأستاذين طاهر الزاوي ومحمود الطناحي.

عيسى الحلبي. الأولى سنة ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ م.

٧٠ - نيل الأوطار للشوكاني (م سنة ١٢٥٠ هـ) ط مصطفى الحلبي الثالثة. سنة ١٩٦١ م.

ثبت الكتاب

الموضوع	الصفحة
استفتاح ودعاء .	٣
مقدمة الكتاب : وهي في عناية الأمة بالقرآن الكريم ودراسته .	٥

الفصل الأول

آيات القرآن الكريم وسوره

معنى الآية في اللغة وعرف القرآن .	١١
طريق معرفة الآي .	١٢
سبب الخلاف في عدد الآي .	١٣
سور القرآن الكريم .	١٤
الحكم من تقطيع القرآن إلى سور .	١٤
تقسيم سور القرآن بحسب طولها وقصرها .	١٥
ترتيب القرآن الكريم .	١٧
ترتيب الآيات في سورها .	١٩
ترتيب السور .	٢٤
١ - القائلون بالاجتهاد وأدلتهم	٢٤
٢ - القائلون بالتفصيل وأدلتهم .	٢٦
٣ - القائلون بالتوقيف وبمحت أدلة المخالفين	٢٨

الفصل الثاني

رسم القرآن الكريم وكتابته

المراد من (رسم القرآن) .	٣٨
(١) الكتابة عند العرب قبل الإسلام وبعده .	٣٩
(٢) رسم المصحف .	٤١
(٣) قواعد رسم المصحف .	٤٢
أولا : الحذف	٤٢
ثانيا : الزيادة	٤٣
ثالثا : الهمز	٤٣
رابعا : البدل	٤٤
خامسا : انفصل والوصل	٤٤
سادسا : ما فيه قراءتان وكتب على إحداها	٤٥
قائمة في رسم فوائخ السور	٤٥
(٤) فوائد التزام الرسم العثماني	٤٥
(٥) هل رسم المصحف توقيفي أو اصطلاحى ؟	٤٨
القائلون بالتوقيف وأدلتهم	٤٨
القائلون بالاصطلاح وأدلتهم . مناقشة أدلتهم .	٥٠
القائلون بالتفصيل	٥٢
المختار في هذه المسألة	٥٢

الموضوع	الصفحة
(٦) بعض الشبه التي أثبتت حول رسم القرآن الكريم .	٥٣
الشبهة الأولى : قول جولدسيهر : إن في القرآن خطأ سببه الخطأ الكتابي الذي وقع فيه ناسخ غير يقظ . وقوله : إنه يسوغ إعمال الرأي والاجتهاد في قراءة القرآن .	٥٣
الرد على هذه الشبهة .	٥٤
الشبهة الثانية : (١) قول جولدسيهر إن الآية ﴿ حتى تستأنسوا ﴾ من سهو النساخ وغفلتهم . الرد على هذه الشبهة .	٦٠
(٢) قول بعضهم إن عبید الله بن زياد أو نصر بن عاصم زاد في الآية ﴿ سيقولون لله ﴾ ألفاً . الرد على هذا القول .	٦١
(٣) بحث الرواية القائلة إن ابن عباس قرأ ﴿ أفلم يتبين ﴾ . وقال عن القراءة المشهورة : كتبها الكاتب وهو ناعس .	٦٢
كلمة في حفظ القرآن الكريم .	٦٣
(٧) شكل المصحف وإعجابه	٦٤
حكم نقط المصحف وشكله .	٦٦
الفصل الثالث	
فضل حفظ القرآن وتعليمه	
حكم حفظ القرآن وتعليمه . شرفه . وشرف حملته .	٦٨
الأمر بتعهد القرآن والتحذير من نسيانه .	٧٠
تفرغ الكثير من الصحابة لحفظ القرآن وفهمه .	٧١
طعن الرافضة في تواتر القرآن بمحدث صحيح ، والرد عليهم .	٧٤

الموضوع	الصفحة
العوامل المساعدة على حفظ القرآن الكريم .	٧٥
التعمد بالقرآن في الصلاة وخارجها	٧٩
آداب القرآن الكريم .	٨٢

الفصل الرابع

تواتر القرآن الكريم

حد التواتر وأركانه .	٨٦
طبقات القراء من الأوائل .	٨٧
ترجمة الأئمة السبعة . وأشهر روايتهم .	٨٨
أنواع القراءات من حيث التواتر وغيره .	٩٠
بعض الشبهات وردها :	
الشبهة الأولى : القول بأن البسمة لم تتواتر - وردة .	٩٤
الشبهة الثانية : القول بأن عثمان أحرق مصاحف الصحابة وقد كانت تختلف مع مصحفه	٩٥
مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه	
(١) القول بأن ابن مسعود كره فعل عثمان في المصاحف - والرد عليه .	٩٨
(٢) قراءته في ﴿ والليل ﴾ وفي ﴿ المعوذتين ﴾ والرد عليهما .	١٠١
(٣) قراءته في ﴿ وقضى ربك ﴾ وفي ﴿ فأزلهما الشيطان ﴾	١٠٣
سند قراءته رضى الله عنه .	١٠٥
مصحف أبي بن كعب رضى الله عنه	
القول في عدد سور مصحفه وفي ترتيبها . والقول بأنه كان يقرأ حروفا ليست في المصحف منها سورتا الخلع والحقد .	١٠٧

الموضوع	الصفحة
(١) الرد على نسبة المخالفة في العدد والترتيب .	١٠٨
(٢) الرد على إثباته سورة الخلع وسورة الحقد .	١٠٩
(٣) الرد على نقصان سورة الأحزاب وغيرها .	١١٠
(٤) الرد على أنه قرأ آيات على خلاف قراءة العامة .	١١١
سند قراءته رضى الله عنه .	١١٢
مصحف على بن أبي طالب رضى الله عنه	
(١) القول فى آيات نسب إليه أنه قرأ بها على خلاف العامة والرد عليه .	١١٥
(٢) دعوى الشيعة أن المصحف محرف - والرد عليها تفصيلا .	١١٧
ذكر شهادة بعض علماءهم بصحة القرآن وتواتره .	١٢٢
سند قراءة على بن أبي طالب رضى الله عنه .	١٢٤
الشبهة الثالثة : دعوى جولدتسيهر تبعا للشيعة أن القرآن سقط منه بعض سورة القيامة - والرد عليها تفصيلا .	١٢٥
الخاتمة وهى فى إيجاز القول فى سلامة القرآن من التحريف والتبديل .	١٢٩
حكم من أنكر شيئا من القرآن أو حرف فيه .	١٣١
الختام	١٣٢
المراجع	١٣٣

﴿له الحمد فى الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون﴾

رَفَع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رقم الإيداع بدار الكتب ٤١٦٨ / ١٩٧٤

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com